جماعات دون الاعتراف: مقاربة حول أهل الحيل فى مصر والشام في عصري الأيوبيين والمماليك

د. عمرو عبد العزيز منير

مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب

جامعة جنوب الوادي

مجلة كليــة الآداب بقنـــــا ـ العـــدد (٤٣) ـ سنة ٢٠١٤م

جماعات دون الاعتراف: مقاربة حول أهل الحيل فى مصر والشام في عصري الأيوبيين والمماليك

د. عمرو عبد العزيز منير[١]

يشكل تاريخ الأيوبيين والمماليك وحدة عضوية تاريخية واحدة؛ سواء من حيث أسباب الظهور التاريخي أو من ناحية أسباب السقوط، إذ كانت الدولة الأيوبية تجسيدًا للاستجابة السياسية العسكرية التي فرضتها الحروب الصليبية طوال القرن الثاني عشر الميلادي، والتي لم تظهر من غياهب المجهول، بل كان مبرر قيامها هو دورها التاريخي في تصفية العدوان والوجود الصليبي. ثم برزت قوة بديلة، فكانت دولة المماليك هى التي جسدت هذه القوة الجديدة. ونجحت فيما لم يحققه الأيوبيون ، ومثلما ورث سلاطين المماليك مُلك الأيوبيين ومسؤولياتهم العسكرية والسياسية في التصدي للصليبيين، ورثوا عنهم الاتجاه الفكري والثقافي[٢]. وكان حصاد هذا الحقبة تصاعد تيارات ثقافية شعبية كان من أحد نتائجها ازدياد تأثير الدراويش والمجاذيب في الحياة العامة وثقافة المجتمع[٣]، فشاعت أخلاقيات الحزن والاستسلام، والاعتقاد في أصحاب المحاكاة والشعبذة والتخيل[٤] وتنوع ألاعيبهم وطرق حيلهم أو احتيالهم ، وهى مؤثرات انتشرت بين طبقات المجتمع[٥].

---

(١) مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب ، جامعة جنوب الوادي .

(٢) قاسم عبده قاسم ، على السيد علي : الأيوبيون والمماليك ، التاريخ السياسي والعسكري ، (القاهرة ، عين للدراسات والبحوث ، ١٩٩٥م) ، ص ٣ ، ٤.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٩٢م) ، ص٢٥٩ ٢٦٣.

(٤) ابن دحية : "أبي الخطاب عمر بن حسن " : المطرب من أشعار أهل المغرب ، (تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ،١٩٩٣م) ، ص ٨٦.

(٥) ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ : تلبيس إبليس ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ٢٠٠١م)، ص ٣٤٠ ؛ أحمد المحمودي : عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي (القاهرة ، دار رؤية ، ٢٠٠٩م) ، ص ١٢١.

هذه المؤثرات اتخذت شكل تيار اجتماعي – ثقافي خفي ولكنه مستمر وصاعد، بحيث يتبلور من خلال الأفكار السائدة في مجتمع[٦]، حمل ذاكرة ثقافية اعتبر الشعبذة ، أحد مكونات سننها الثابتة[٧] ، وهى مفاهيم تتقاطع أحياناً مع ظواهر مجاورة ، إذ لا تزال ممارسات الحيل والاحتيال ومن ضمنها الشعبذة ، حاضرة في سلوكيات العديد من الأفراد وتصوراتهم رغم تنامي نسق الحداثة . وتركز هذه الدراسة على مسار بعض جماعات الحيل والاحتيال ، وهم شريحة من المشعبذين الذين احترفوا خفة اليد[٨] (العفر) أو الدك مع خفة اليد (المشاتون) ، أو "أصحاب الكاف"في الحيلةوالاحتيال[٩].

وتستمد الدراسة أهميتها وجدواها بعدما غُيب موضوع دراسة مجتمع المشعبذين، وطبيعة دورهم في المجتمع، وما أتقنوه من مهارات وفنون حيَّل وخفة يد – في الكتابات العربية والأجنبية ، وهى لئن وجدت ، لم تمكن بالكيفية المنتظرة من حيث العدد والنوع ، الأمر الذي خلق فجوة بين ما يعكسه الواقع التاريخي في المجتمع من دلالات تؤكد على وجود الممتهنين للشعبذة ودورهم المتأرجح بينالاحتيال أو الترفيه في آن واحد بشكل ملفت، ويؤرخ في نفس الآن للحياة السرية والمتناقضة التي كانت تموج بها فضاءات مجتمع الدراسة، وأسواقه الساهرة، واحتفالاته وتجمعاته الرخيصة التي يرتادها المهمشون والمنبوذون والطبقات الكادحة بحثًا عن تسلية عابرة تنسيهم هموم

---

(٦) قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية ، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة ، ع ١٤٩ ،المجلس الوطني للثقافة ١٩٩٠م) ، ص ١٨٢.

(٧) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري ، ص ٢٦٤ ٢٦٩؛ محسن جمال الدين: مخطوطة المختار في كشف أسرار المحتالين ونواميس الحيالين (مجلة التراث الشعبي، العددان الثاني، والثالث، السنة السابعة، بغداد١٩٧٦م)، ص ١٧٩ ؛ منذر الحايك : تقديم كتاب المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار" ، (دمشق ، دار صفحات ، ٢٠١٤م) ، ص ١٨.

(٨) أصبحت خفة اليد ترتبط بعمليات السرقة والاختلاس والنشل ، وهى من الكنايات العامية " إيده خفيفة" التي تدل على المهارة مثل "سرقة الكحل من العين " أو خذ من الحافي نعله ". للمزيد . أحمد تيمور : الكنايات العامية (ط٣، بيروت ، الشركة الشرقية للنشر ، والتوزيع ، ١٩٧٠) ، ص١٠ ، ص٣٢ ، ص١٥٠ ؛ سيد عشماوي : الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث (القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٥م) ، ص ٢٤، ص ٣٩ ، ص ٤٠.

(٩) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ٢٦٨.

الواقع وقساوة الحياة. وهو ما يكسبالدراسة جدواها لمحاولتها الوقوف على التاريخ السري للمجتمع بأسواقه ودروبه ، ولتاريخ ثقافته التحتية ولروادها من طبقات المجتمع المختلفة وسجل تحولاتها وأوجاع بنيها، ولا يمكن الفصل في هذا المجال بين تحولات المجتمع وتحولات أهل الحيل والاحتيال ، فقد ادغم كل منهما في الآخر.

وهو ما يطرح إشكالية حول وجود شريحة تملك من المهارة ما يجعلها تسوق حرفتها لكل الطبقات المجتمعية ولكنها ظلت مهمشة ورغم ذلك ظلت موجودة في المجتمع بشكل أو بآخر استطاعت أن تواجه التهميش وتوسع من مساحة دورها داخل المشهد التاريخي وتحت الضوء بحيل مختلفة وتعمل على إبراز مساحة تواجدها في المجتمع رغم التحديات العديدة كونها مهنة وضيعة ومنبوذة ومهمشة في المجتمع وفي الوقت ذاته تواجه تحديات دينية تحرم كل ما يتصل بالشعبذة بأشكالها المختلفة ، وبالتالي هى في وضع تقييمي فقهي خوفًا من ممارسات الحيل والاحتيال التي قد تترك أثرًا سلبيًا على الأفراد . إضافة إلى أن الدراسة تطرح إشكالا آخر يتعلق ببنية وتحديات هذه الشريحة نفسها منها التحديات المادية التي تواجهها الشريحة في سبيل تأمين معاشها القائم والمشروط بإتقان طرق متنوعة للحيل، التي كان من أسباب إقبال الناس عليهم ما جعل هذه الشريحة دينامية في مواجهة آراء التحريم الدينية ، ودينامية في اكتساب الجاذبية الاجتماعية تجاه هذه المهنة التي جعلت أصحابها يخترقون عدة طبقات في المجتمع من أسفل إلى أعلى ، ولم ترض أن تظل حبيسة قاع المجتمع على الدوام . والدراسة تنشغل بتقديم صورة هذه الشريحة المهمشة تاريخيًا وطبيعة الدوروالتحديات التي واجهتها ، وتكشف عن موقف النخبة المثقفة تجاه هذه الجماعة ، كما تنشغل الدراسة أكثر بفهم المجتمع من الداخل، وهذه الشريحة وسيلتنا للكشف عن طبيعة التهميش والجماعات المهمشة داخل المجتمع .

وتكمن صعوبات الدراسة في الاهتمام – لا بنخب المال والدين والسلطة السياسية – وإنما بعنصر المشعبذين ومهاراتهم كأحد العناصر الاجتماعية التي رزحت تحت سيطرة تلك النخب ، وهى العناصر التي احتلت دائمًا المواقع السفلى والوسطى في مختلف التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعاقبت على المجتمع في مصر والشام منذ أقدم العصور حتى فترة الدراسة . كما تتمثل صعوبات الدراسة في "عيب" ممثلي هذه

الشريحة الاجتماعية غير المالكة للثروة والسلطة وأنهم فاعلون اجتماعيون "صامتون" لم يدر بخلدهم أبدًا أن يُدونوا تاريخهم بأنفسهم ، ولم يكونوا قادرين على ذلك ، ولو أرادوا نظرًا إلى ما كانوا عليه أغلبهم من أُمية دامسة خلافًا لما كان يفعله عِلْيَةُ القوم – وأغلبهم من الحضريين والمتعلمين – الذين اهتموا بالتأريخ لأنفسهم ، فحققوا بذلك إنجازات ثقافية كان لها من المناعة ما مكنها من الصمود أمام غوائل الزمن والبقاء إلى اليوم(١٠) . وهو أمر حتم علينا النبش في جملة من المصادر والمراجع التاريخية والدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية لما لها من دور في تنميط سلوك الأفراد والجماعات ، بل هى في أحيان كثيرة تمثل خزانًا إيديولوجيًا يستقي منه الفاعلون تصوراتهم . الأمر الذي أفرز مواقف متضاربة في التعامل مع شريحة المشتغلين بالشعبذة إيجابًا وسلبًا ، يمكن رصدها في إطار المعادلة الثنائية مشتغلين ومستفيدين .

أهل الحيل اصطلاحًا وتنظيمًا:

اتخذ عِلم الحيل(١١) أكثر مِن شَكلٍ في تراثنا ، ويَنبع تَنوع أشكال هذا العلم؛ لتنوع دلالات جذره في الاستعمال العربي، ومِنه بنى العلماء علومهم فاصطلحوا تسمياتِله مِن خِلال التنوع الاستعمالي عند الناطقين بالعربية. وعودتنا إلى المعجم العربي تَكشف لَنا أن "علم الحيل" مُشتق من الجذرِ (ح ي ل) الذي يَدل عَلى مَعاني مُتنوعة في الاستعمال العربي: فـ"الحِيلَة" الحِذقُ، وجَودَةُ النَّظَرِ، وَالقُدرَةِ عَلَى دِقَةِ التَّصَرُّف فِي الأُمُور،والقدرة على تذليل بعض الصعوبات ، ووسيلة بارعة؛تحيل الشَّيء عَن ظَاهره؛ ابتِغَاء الوُصُول إِلَى المَقصُود والخديعة"(١٢). فهذه ثلاثة مَعانٍ للجذر (ح ي ل) ومفرده

---

(١٠) الهادي التيمومي وآخرون : المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي (ط١ ، تونس، بيت الحكمة ، ١٩٩٩م) ، ص ٥٦ بتصرف.

(١١) المقصود هنا بالحيل هو الاحتيال للتكسب ، وليس علم الميكانيكا الذي كتب فيه أولاد محمد بن موسى بن شاكر .

(١٢) مُحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ): لسان العرب (ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ) ١١/ ١٨٥؛ وإبراهيم مُصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط (القاهرة ، وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٣م) ٢٠٩/١؛ محمود بكير : علم الحيل لغة واصطلاحًا في التراث العربي الإسلامي (دبي ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد ١٦ ، ١٤١٧هـ) ، ص ٦١.

(حيلة) الذي اشتق مِنه العلم بالجمع (علم الحيل) [١٣]. ولذلك جاء "علم الحيل" فِي التراث العربي عَلى ثلاثةِ استعمالات أَيضًا عَلى أُصولِ اِستعمالها عِند العرب، وهي؛ أولًا: عِلم الحيل العلمي الذي يأتي من باب "الحذق ودقة النظر والتصرف في الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات على النسب الهندسية ، كدوران الساعات وجر الأثقال[١٤]. ثانيًا: علم الحيل الذي جاء بِمعنى الوسيلة البارعة التي تَحيل ظاهرة الشيء ابتغاء الوصول إلى المقصود، وَهو الذي اُستُغِلَ في إنشاء "علم الحيل" في الفقه، والمعروف عند أغلب العلماء بـ "الحيل الشرعية".[١٥] ومِن أشهر الذين أَلفوا في هذا الموضوع الشيخ أبو بكر بن عمر المعروف بالخصاف الحنفي المتوفى سنة ٢٦١هـ في كتابٍ أسماه بـ"كتاب الحيل"[١٦].

---

(١٣) شريف على الهلالي: علم الحيل: أصول الحذق العربي، (العراق ، مجلة ثقافتنا ، وزارة الثقافة العراقية ٢٠٠٧م)، ص ١٦٤.

(١٤) تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ) : معيد النعم ومبيد النقم (تحقيق : محمد على النجار وآخرون ، ط٢ ، القاهرة، مكتبة الخانكي ، ١٩٩٣م) ، ص ١١٦.

(١٥) قال الجرجاني: "الحيلة اسم من الاحتيال وهي التي تحَوِّل المرء عما يكرهه إلى ما يحبه" ، تطلق الحيلة في عرف الفقهاء والمحدثين غالباً على الحيل المذمومة شرعاً وهى الطرق والوسائل الخفية التي تستحل بها المحارم وتسقط بها الواجبات ظاهراً. انظر: ابن منظور: لسان العرب ، (بيروت ، دار صادر ١٤١٤هـ)، ٧٥٩/١؛ أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري ، ت ٣٨٧هـ : إبطال الحيل ، (تحقيق : زهير الشاويش ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ) ، ص ٥٣؛ محمد المسعودي: الحيل (مطابع الجامعة الإسلامية ، السنة السابعة عشرة العددان ٧١، ٧٢، رجبذو الحجة ١٤٠٦هـ) ، ص١٠٨، ١٠٩؛ شريف الهلالي : مرجع السابق، ص١٦٤، ١٦٥.

(١٦) وضع الإمام "عمر أبى بكر الخصاف الشيبانى" كتابا فى الحيل الفقهية. وأشتهر به، فهو كتاب الخصاف فى الحيل الذى تعددت أبوابه وتنوعت حيله فى مجالات البيع والشراء والضمانات والوكالة والشفعة والنكاح والخلع والزكاة والصلح والوصية والأيمان والتقاضى والمعارضات والأيمان التى يستحلف بها النساء أزواجهن وغير ذلك، مما جمعه المؤلف من الحيل نجدها فى هذا الكتاب.الذي طُبع بالقاهرة ١٣١٤هـ.

ثالثًا: علم الحيل الذي استثمر المعنى الثالث لدلالة (حيلة) في الاستعمال العربي[١٧]، والذي أريد به الخديعة[١٨]، والذي يَعتني بحيلِ بَعض الحذقة فِي أُمورٍ كثيرة أبرزها إدخال البيضة في الزجاجة، أَو إِلقائها في النار ولا تحترق، وإخفاء الخواتم، وألعاب القداح...إلخ. والخفة في كل أمر .ويُعطينا قامُوسُ "المُغنى الأكبرُ" مُسمياتٍ شعبيةً؛ مثلُ "كلا كلا"، و"زرق"، و"التنوير"[١٩].ونجدُها في معاجم اللغةباسم "الشعبذة والشَّعْوَذَةوهي خفةُ اليد،ومَخَارِيقُوأُخَذٌ كالسِّحْرِ يُرى الشيءُ بغير ما عليهِ أَصْلُهُ في رأي العَيْنِ[٢٠] ، أي: القيامُ بعملياتٍ من أجل خداع وإبهار المشاهدين؛ إذ يقُومُ المشعبذُ بأعمالٍ تُظهرُ الشيء للمُشاهدين على غير ما هُو عليه في الواقع؛ ومرجعُ ذلك إلى خفةٍ في اليد[٢١]". لأنه فنٌ قُوامهُ إيهامُ النظارة بقدرة صاحبه (أي المشعبذُ) على اجتراح كُل ما هُو مُعجزٌ أو مُستحيلٌ.

---

(17) Charles Burnett, Magic and Divination in the Middle Ages: Texts and Techniques in the Islamic and Christian Worlds (Aldershot, Great Britain and Brookfield, VT, USA: Variorum,1996), pp. 12.

(١٨) شريف الهلالي : مرجع السابق، ص١٦٤، ١٦٥.

(١٩) حسن الكرمي: المعجم الأكبر، (بيروت، مكتبة لبنان ١٩٨٧م)، ص ٧١٠، ١٢٩٨؛ لطف الله القاري: مقدمة كتاب زهر البساتين في علم المشاتين (القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠١٢م)، ص ٩.

(٢٠) ابن منظور : لسان العرب ٢٣٨/٣ ، ٤٩٥/٣ ، ٦٩٦/١١؛ الفيروزآبادى ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧هـ : القاموس المحيط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٥م)، ٣٣٤/١؛ الزَّبيدي " محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني" : تاج العروس من جواهر القاموس (مجموعة محققين ، القاهرة ، دار الهداية ١٩٩٩م)، ٤٢٦/٩ ، ١٣٤/٣١ .

(٢١) عرفه الزَّبيدي بقوله :" المُشَعْوِذ: إِذا خَفَّت يَدَاهُ بالتَّخاييلِ الكاذِبَة" وهذا التعريف ما يُعبِّر عنه حرفيا في الإنجليزية Sleight of hand وتكتسب "خفة اليد" بممارسة الحيل وتَنمية المهارة العضوية، وبخاصة السرعة في حركة الأصابع (هذا هو المعنى الحرفي للأصل اللاتيني للكلمة الفرنسية Prestidigitation). للمزيد انظر/ تاج العروس١٣٤/٣١؛ محمد عزيز الحباني وآخرون: مُعجم العلوم الاجتماعية (تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م)، ص ٣٣٨؛ أحمد زكي بدوي: مُعجم مُصطلحات العلوم الاجتماعية (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م)، ص ٤٠٤؛ سامية الساعاتي: السحر والسحرة بحث في علم الاجتماع الغيبي (ط٢، القاهرة ، دار قباء، ١٩٨٢م)، ص٨٢، ٨٣.

أعمالُ الشعبذة لا تقتصرُ على الحيل البسيطة، التي تصطنعُ في أدائها المناديل وورق اللعب أو الشدة ، بل تعدُو ذلك إلى إظهار قُدرة المشعبذ على احتزاز رُءُوس الحسان بالمنشار، ثُم إعادتهم إلى الحياة من جديد. ولايستعينُ المشعبذ على أداء حيله هذه بخفة اليد وحدها ؛ إذ يتعينُ عليه تحريك يديه بسرعةٍ فائقةٍ؛ تنخدعُ معها عُيُون النظارة –بل يستعينُ أيضًا بعلم النفس، وبأدواتٍ مُعدة بطريقةٍ سريةٍ تُمكنهُ من القيام بألعابه، وأُخرى غيرُ منظُورةٍ، يستخدمُها في غفلةٍ من الناس[٢٢]"،وهُو ما ألمح إليه ابنُ دانيال الموصلي (ق٧هـ) في طيف الخيال على لسان "شمعُون المُشعبذ":"خُذ بالعُيُون لا ينصرفُ القائمُون، ولا القاعدُون"[٢٣].ونجدها عند السبكي مصنفة ضمن التخييلات والأخذ بالعيون وسماها "الشعبذة المخيلة " ؛ لسرعة فعل صانعها برؤية الشئ على خلاف ما هو عليه[٢٤]وتدخل في باب الهزل[٢٥]، وما إلى ذلك مما سنقف عند بيانه، ومظاهره في هذه الدراسة.

أقسام علم الحيل ووسائله:

وصف الزرخوني علم الحيل بأنه من أظرف الفنون وأغربها وأصل هذا الفن قائم على الخفة والرشاقة[٢٦] وهو فن له أصناف رئيسية منها : كشف الغيب[٢٧] ؛ الدك[٢٨]،

---

(٢٢) طاش كبري زادة "أحمد بن مصطفى": مُفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (ج١، تحقيق كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، القاهرة ، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م)، ص ٣٧٠؛ محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي "المعتقدات والمعارف الشعبية" (القاهرة ، سلسلة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢م)، ٣١٩/٥.

(٢٣) ابن دانيال الموصلي "شمس الدين مُحمد ابن دانيال الموصلي الكحال" (ت٧١٠م): طيفُ الخيال (تحقيق: عمرو عبد العزيز منير، ط ١، القاهرة ٢٠١٦م)، ص ٨٨.

(٢٤) السبكي: معيد النعم ، ص ١١٧.

(٢٥)المُشَعْوِذُ إِذا خفَّت يَدَاهُ بالتَّخاييل الْكَاذِبَةِ ففِعْله يُقَالُ لَهُ الهُزَيْلَى لأَنها هَزْل لَا جِدَّ فِيهَا.لسان العرب٦٩٦/١١.

(٢٦) الزرخوني ، "محمد بن أبي بكر بن عمر ت ٨٠٨هـ" : زهر البساتين في علم المشاتين (تحقيق: لطف الله قاري، مكتبة الإمام البخاري ، القاهرة ٢٠١٢م) ، ص ٩١.

(٢٧) علم تعلق القلب ، وقد اعتمد المحتالون في هذا الباب على رغبة الناس بمعرفة مستقبلهم ، فأوهموهم بامتلاك القدرة على كشف الغيب بواسطة عدة وسائل منها : معرفة اسم الله الأعظم ، أو طاعة الجن لهم

(٢٨) وهو إخفاء شئ في شئ أو دكه فيه ، ثم إظهاره كعمل خارق.منذر الحايك: مقدمة المختار، ص٢٢.

الحشيش[٢٩] ، بني ساسان[٣٠]، الشعوذة[٣١]:أو الشعبذة[٣٢]، والقسم الأخير – موضع الدراسة – يعتمد على إيهام الناس بالقيام بالخوارق ، عن طريق تسخير بعض قوانين الطبيعة أو الإيهام بأشياء غير حقيقية بالاستعانة بمؤثرات وأدوات وأعوان ، ويدخلُ من ضمنها ما يُقابلُه أما يُعرفُ بألعاب الخفة، التي هي من عُرُوض السيرك، وحيل الحُواة والخدع السحرية[٣٣]، والتي أصبحت مُنذُ القرن الثامن عشر فنًّا، يُحاطُ أصحابهُ بهالةٍ من التقدير والإعجاب[٣٤].

له أقسام ، <u>الأول</u> منها يسمى: "العفر" (الإخفاء) ، وهو خفة الدك والرشاقة في اللعب باليدين فقط ، والقسم <u>الثاني</u> يسمى: "المشاتين" ، وهو يعتمد على اليدين مع استخدام أدوات مجهزة عند اللاعب[٣٥]. وهى حيل مقبولة مسلية مدهشة ؛ وما يحصله

---

(٢٩) كان الحشيش المخدر وسيلة مهمة من وسائل المحتالين ، والمقصود هنا هو حشيشة القنب الهندي ، التي تؤكل أوراقها لخواصها المخدرة.وقد استخدمه المحتالون كوسيلة للفسق بأولاد الناس ونسائهم وسلب أموالهم. منذر الحايك: مقدمة المختار ، ص٢٣.

(٣٠) ساسان: هو الكاهن الزرداشتي الأعظم ، وجد الملك أزدشير الأول مؤسس الإمبراطورية الساسانية ، وبني ساسان قد تعنى الفرس ، ولكنها هنا أصحاب الكُدية ، وهم قوم يتجولون في البلاد يتكسبون بالأدب أو الحيلة على الناس وقد أطلق عليهم اسم بني ساسان ، واشتهروا في العصر العباسي وتشمل كل المحتالين والمتسولين بكافة أشكالهم وطرائفهم . وقد خصص لهم الجوبري فصلا كاملا لكشف أسرار بني ساسان .

(٣١) الشَّعْوَذَةُ: خِفَّةٌ فِي الْيَدِ وأُخْذٌ كَالسِّحْرِ يُرِي الشيءَ بِغَيْرِ مَا عَلَيْهِ أَصله فِي رأْي الْعَيْنِ؛ وَرَجُلٌ مُشَعْوِذٌ ومُشَعْوَذٌ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَادِيَةِ. والشَّعْوَذَةُ: السُّرْعَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الْخِفَّةُ فِي كُلِّ أَمْرٍ. والشَّعْوَذِيُّ: رَسُولُ الأُمراء فِي مُهِمَّاتِهِمْ عَلَى الْبَرِيدِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْهُ لِسُرْعَتِهِ. وَقَالَ اللَّيْثُ: الشَّعْوَذَةُ والشَّعْوَذِيُّ مُسْتَعْمَلٌ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ أَهل الْبَادِيَةِ. لسان العرب ٤٩٥/٣.

(٣٢) المُشَعْبِذُ: بِكَسْرِ الباءِ وَفتحهَا، أَهمله الجوْهَرِيّ، وَقَالَ اللَّيْث: هُوَ (المُشَعْوَذُ) بِفَتْحِ الْوَاو وَكسرهَا (وَقد شَعْبَذَ يُشَعْبِذُ) قَالَ الثعالبي فِي (الجنى المحبوب الْمُلْتَقط من ثمار الْقُلُوب) : لَا أَصل لقَوْلهم مشعْبذ، وإِنما هُوَ بِالْوَاو، ويكنى أَبا العَجَب، قَالَ أَبوتَمام.مَا الدَّهْرُ فِي فِعْلِه إِلاَّ أَبُو العَجَبِ لسان العرب ٣/ ٢٣٨؛ الزَّبيدي : تاج العروس ، ٤٢٦/٩.

(٣٣) محسن جمال الدين: مخطوطة المختار ،ص ١٧٩، ١٨٠.

(٣٤) محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي ، ٣١٨/٥، ٣١٩.

(٣٥) يتألف الحد الأدنى لهذه الأدوات من سبع قطع: ثلاثة أحقاق(علب مجهزة تجهيزًا خاصًا من الداخل) ، وثلاث بنادق، والرخمة التي ينقر بها على الدق. للمزيد انظر: الزرخوني: زهر البساتين، ص ٩١.

القائمون بها من كسب يدخل في باب الأجرة أو العطاء الطوعي. ووصفهم الجوبري بأنهم أصلح من جميع الطوائف؛ لعدم تعرضهم لدماء الناس[٣٦] ، وكل شئ يعملونه للتسلية فقط، وبعد ذلك يرجعون إلى المروءة ومكارم الأخلاق والناس يعلمون بهذا[٣٧]. وهذان القسمان يمثلان الجانب المضيء للشعبذة.

أما الفئة الثالثة فهم يمثلون الجانب المظلم من الشعبذة ويعرفون باسم : "أصحاب الكاف" وهى الكيمياء، وهذه الطائفة أعظم الطوائف تسلطًا على أموال الناس وينصبون عليهم بخفة اليد والدك بأدواتهم والكيمياء معًا[٣٨]، ويزغلون[٣٩] ، ويعفرون ، فيدكون[٤٠] . وهم مهرة في صوغ الكلام ، وقد كشف الجوبري أثناء مخالتطتهم عن ثمانمائة باب لهم في الحيل والدك وأشار إلى تعدد وتطور وسائل الاحتيال وتنوع مداخل المحتالين بما لا يقع تحت حصر[٤١]. والواصل منهم دكاك ولو علم شيئًا من يقين لما أطْلَع عليه أحد ، وليس له حاجة إلى الخلق أجمع ؛ لأن الذي يريد قد حصل له[٤٢].

وثمة ملاحظة أساسية بالنظر إلى هذه المصطلحات وهى أن أغلبها يعكس الموقف الذهني المحدد تجاه هذه الجماعات أطلقت عليهم لتوصيف أفعالهم ، وغالبًا ما عكست تصورات الفئات العليا في قمة الهرم الاجتماعي للنظر إليهم كجماعات هامشية

---

(٣٦) الجوبري "عبد الرحيم بن عمر . ق ٧هـ": المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، (تحقيق : منذر الحايك ، دار صفحات ، دمشق ٢٠١٤م)، ص ٢١.

(٣٧) الجوبري : المصدر السابق ، ص ٢١٩.

(٣٨) تعتمد هذه الفئة على التكفيت للإيهام بتحويل المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة واشتهرت القاهرة ودمشق في القرنين السادس والسابع الهجريين بهذا النوع من صناعة التكفيت ، وهى كلمة فارسية من فعل كفتن بمعنى وضع مادة غالية الثمن في مادى أرخص منها ومختلفة عنها في اللون ، ككفت النحاس والبرونز بالذهب والفضة ، ومن التكفيت شاع بين العامة التعبير :"أنا أفهم الكُفت" أي أنه رجل حاذق يفهم ما خُفي عليه. للمزيد انظر:أحمد رمضان أحمد محمد : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية (القاهرة، وزارة التربية والتعليم ١٩٧٧م)، ص١١١؛ الجوبري: المختار، ص ١١٧.

(٣٩) الْغِشّ

(٤٠) الزرخوني : زهر البساتين ، ص ١٨٥.

(٤١) الجوبري : مصدر سابق ، ص ١١٨.

(٤٢) المصدر السابق ، ص١١٧.

منبوذة اجتماعيًا ارتبطت نسبيًا بحالة إحباط من البطالة والفقر والإحساس بالدونية أدى بها إلى الانسحاب، واتخاذ سلوك رفضي من المجتمع النابذ لها.

شـــــروط عمل الحيل:

أكد الإسكندراني[٤٣] في كتابه " الحيل البابلية للخزانة الكاملية " على ضرورة كتم أسرار هذا العلم عن عامة الناس[٤٤] وذكر أن حيلاً كثيرةً للمحتالين تعتمد على خفة اليد ذكرها في كتابه الآخر الذي ألفه للخليفة الناصر العباسي بعنوان "موضع أستار الكُلل وفاضح أسرار الحيل"[٤٥] وبجانب حركة اليد الخفيفة ، والأخذ بالبصر[٤٦] والرشاقة[٤٧] يجب أن يتصف بطلاقة اللسان أو ترديد توليفة مبهمة من الكلمات السحرية، الهدف منها غشية أبصار المشاهدين لتمرير حيلته دون أن تنكشف كانت تستخدم من ناحية لإطالة المدة ، ومن ناحية أخرى لنيل التصديق والإعجاب.[٤٨]

إضافة إلى ضرورة حضور بديهة اللاعب ، وإتقان حيله وألعابه ، وعدم تكليف نفسه بما لا يستطيع ، والاستعانة بمساعد قدر الإمكان ، ومعرفته بخواص المواد من جماد أو حيوان أو نبات . إذ يشير صاحب الحيل البابلية إلى ضرورة معرفة اللاعب :" بأجناس الفتائل والأدهان ، واختلاف ما ينتج منها من الألوان ، وتعليل ما يُسأل عنه من

---

(٤٣) الإسكندري: الشيخ حسن محمد الإسكندري القرشي العدوي المتوفى في حدود سنة ٦٤٠ أربعين وستمائة. صنف من الكتب الحيل البابلية للخزانة الكاملية أعني الملك الكامل الأيوبي. موضح أستار الكلل وفاضح أسرار الحيل. ألفه حين قدومه إلى بغداد للناصر لدين الله أحمد العباسي. انظر/ الباباني : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي ، "ت ١٣٩٩هـ" : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (استانبول ، طبع بعناية وكالة المعارف ، ١٩٥١م) ، ١/٢٨٠ ، ٢٨١.

(٤٤) الحسن بن محمد الإسكندري القرشي العبدري (ت ٦٤٠هـ /١٢٤٣م) :الحيل البابلية للخزانة الكاملية (تحقيق: لطف الله قاري ، الدوحة ٢٠١٧) ، ص ٩.

(٤٥) لطف الله قاري : مقدمة تحقيق كتاب الحيل البابلية، ص ١٠.

(٤٦) السبكي : معيد النعم ، ص ١١٨.

(٤٧) الجوبري : مصدر سابق ، ص ٢١٩.

(٤٨) أوين ديفيز : السحر مقدمة قصيرة جدًا ، (ترجمة : رحاب صلاح الدين ، ط١، القاهرة ، هنداوي للنشر ٢٠١٤م) ، ص٥٧.

الظاهر والخفي ، والمستور والجلي ، وامتحان الخواص قبل الذكر ، وصدق الكلام بعد الفكر ، ومعرفة ما يُغش من جميع البضائع ، والدخول فيما يذكره بإتقان"(٤٩).

وأضاف الطُوخي إلى شُرُوطَ عَملِ الحاوي المتخصص في ألعاب الخفة قوله:"أَغلب أَلعابُ الحَاوِي مُتَوقفة على نَشاطه فِي العَمَل، وخفةٍ في الحركةِ، وسُرعةِ أَنامله في الأخذ والرد؛ بحيثُ لا تَرمقه الأَحداقُ المحدقة به، وإِلَّا ظَهرت حِيلُه وإِنفضحَ أَمرهُ"(٥٠).

وَعدد لَنا الطوخي المهارات المساعدة على نجاح عمله منها: "وأَعظمُ وَسيلة للحاوي فِي كَتم سِره؛ ثَرثرة اللسان بحكاياتٍيَحكيها، أو مضحكات يرويها، وهَزليات يَبثُها، يَستلفت بِها إلى مَنطقة الأسماع؛ فَتَصرفُ عَن أَنامله الأَبصارَ فَيفعلُ مَا شاء، كما يَشاء في غَفوتها؛ وَلذلكتَراه لَا يَعقب لِعبةً بما يَقرُبها شكلًا، أو يُشابهها عملًا إلا نَادرًا، ولَا يُبين مَوضعها قَبل إِجرائها، ولا يُعيدها بَعد تَنفيذها، وإِن اِضطر إلى إعادتها لِإلحاحٍ أو رجاءٍ؛ أَعادها، ولكن بطريقةٍ أُخرى؛ مَخافة أَن تَشخص لأَنامله العيون، وتَنحصر فيها الأفكار"(٥١).

ويبدو لنا مدى مهارة اللاعبين من إعجاب الجوبري بما يعملون بقوله :" وهذا من أجل النواميس الملاح التي تذهل العقول" ولم يمنع ذلك انكشاف بعض حيلهم كقول الجوبري :" ولولا قد رسمت نفسي أني منهم لذكرت لهم أمورًا لا تكيف"(٥٢).

ووجه الطوخي نَصائحه لِعامةِ النَاس حَتى لَا تَقع فِي فِخاخِهذه الألعاب بقوله: "فَعَلى مَن يُريد الإِطلاع على حَقائق ما يَنفثه مِن السحر الحَلال؛ ألَّا يَهتم بقوله، وأَن لَا يَصرفُ العينَ عَن أَنامله، ولا طَرفةٍ وَاحدةٍ. فإنه لِتعودهِ قَد يُخفي الشيء أَو يُظهره بيده فِي أَقل مِن لمحِ البصر"(٥٣).

---

(٤٩) الحيل البابلية ، ص ١٠.

(٥٠) عبد الفتاح السيد الطوخي: سحر هاروت وماروت في الألعاب السحرية (ج١،القاهرة ، مكتبة القاهرة، د. ت)، ص ٥، ٦.

(٥١) سحر هاروت وماروت ، ص ٦.

(٥٢) الجوبري : المختار ، ص ٢٤٧.

(٥٣) الطوخي: مصدر سابق، ص ٦.

تنظيم أهل الحيل :

عرفت دولة سلاطين المماليك تنظيمات طوائف أرباب الحرف ؛ وانتظام أرباب كل حرفة تحت رئاسة شيخ ، أو مَا يُطلق عليه اسم "القييم" (٥٤).وكانت أهم وظائف "القيـيم" رعاية شئون أصحاب الحرفة ووضع وصيانة أصول هذا العمل ، ويكون حلقة الوصل بين الدولة والطائفة أو الجماعة(٥٥) .

وبرغم صمت المصادر عن فكرة التنظيم الطائفي للمشعبذين من أرباب الحيـل ، إلا أن ذلك لم يمنع وجود هذا التنظيم الذي كان من سمات العصر ، ووجد في كثيـر مـن الحرف في تلك الفترة إذ نجد إشارات في بعض المصادر عن ضمان أربـاب الملاعيـب ، وهى ضريبة كان يدفعها المحترفون للألعاب المختلفة إلى ضَامِنٍ يُقَال لَـهُ كمجتـي(٥٦) ؛ لقاء ممارستها – يدخل في أرباب هذه الملاعيب : الحواة وأرباب الدك ، والمشخصـون ، وأرباب خيال الظل ، وملاعبوالكلاب والحمام والقردة وأربـاب اللعـب بالعصـا والـرمح والكرة وَغير ذَلِك من أَنْوَاع اللّعب(٥٧).ونجد إشارات إلى استمرار الضريبة حتـى القـرن الحادي عشر الهجري مع تغير اسم الضامن إلى "أمين الخردة"(٥٨) لأن كل مَا يَتحصل مِن هَؤلاء مِن المال، ولو كان خردة من الفضة، خَاضعٌ لحكم كاتب أمين الخردة وأمره(٥٩).

---

(٥٤) إدوارد وليم لاين: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم (ترجمة: سهير دسوم ، القاهرة ، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م)، ص ٣٩٧.

(٥٥) قاسم عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي (القاهرة، دار عين ، ١٩٩٨م) ، ص ٢٢٩.

(٥٦) المقريزي "تَقي الدين أَبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ": السُلوك فِي مَعرفة دول الملوك (تحقيق:محمد عبد القادر عطا، بيروت ،دار الكتب العلمية١٩٩٧م)، ٣/ ٣٩٦.

(٥٧) محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، دار الشروق ، ١٩٩٣م)، ص ٣٤٥.

(٥٨) أوليا جلبي: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش١٠٨٢هـ ١٠٩١هـ/١٦٧٢هـ ١٦٨٠م (ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري،القاهرة ، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م)، ١/ ٣٨٦.

(٥٩) مِن ضِمن مَا ذكره أوليا جلبي : "بيانُ الأقلامِ المضحكةِ لأمين البحرين، وعدد خزائن مصر: "أن بِها قلمًا غريبًا مِن أَقلام الأفندية، وهُو قلم "أمين الخردة ": فَهُو إدارة عجيبة؛ فلذا ذكرناها بَعد كُل الأقلام، وهَذه الإدارة تَجمعُ كُل مَن في القاهرة من اللاعبين بالأقداح والدوارق والكئوس، والقائمين بالألعاب البهلوانية الدالة على القوة والرياضة، وكَذا اللاعبين بالطيورِ والحبال والنيران والخيول والحمير والحيات والثعابين، ورفع الأثقال، وتَرقيص القردة والنسانيس، وخيال الظل والقراكوز، ومصارعة الديكة، وأمور السيمياء واللاعبين بالفئران والدببة، وكذا قراء الأَساطير والأقاصيص والمهرجين والمضحكين ووسطائهم من اللاهين واللاعبين. " الرحلة ٣٨٦/١ ، ٣٨٧.

ثمة إشارة نجدها عند أحد أرباب هذه الصناعة على وجود شيخ يأخذون عنه فنون الحرفة فيقول: "اطلبوا شيخ الحكمة ولو لم يكن تقياً" فقد أخذوا العهد على أنفسهم بذلك ليحملوا الطالب على أخذها من أربابها(٦٠) ، كما عاهدوا أنفسهم على عدم كشف أسرارها(٦١) ولا يعطوها إلا لمن يكون أهلاً لها(٦٢) ، وهم في ذلك يضعون شروطاً على رأسها شيخ الحرفة،يقول التلمساني :"ولابد من شيخ يريك شخوصها، لتفريقها بالعين والاسم أقطعُ، وإلا فنصف العلم عندك حاصل، ونصف إذا حاولته يتمنعُ"(٦٣).

والغالب أن الحرفة كانت تضم أعوانًا يساعدون أرباب الحيل من المشعبذين، أو يشتركون معهم في عمل الحيلة(٦٤) ، فهم مشعبذون تحت التمرين من الجنسين :ذكور أو إناث(٦٥) ، ومن أجل اكتساب الحرفة كانت المهارة الحرفية تنتقل بواسطة التعليم إذ لا بد من الدراسة النظرية والمشاهدة والمعاينة في غالب الأحيان(٦٦).

وتطالعنا المصادر بأن المهارة الحرفية المكتسبة بالتعلم ومداومة العمل علاوة على طول التجربة والأسفار أفسحت للبعض المجال إلى إمكانية الارتقاء داخل الصف الحرفي(٦٧)، وكان من شروط الشيخ المعلم أن يتميز بملكيته للخبرة والأدوات والإتقان لكثير من الصنائع والحيل ، كالشيخ شهاب الدين أحمد بن الفيل أستاذ الزرخوني المصري

---

(60) Frances E. Peters, "Hermes and Haran: The Roots of ArabicIslamic Occultism," in Magic and Divination in Early Islam, ed. Emilie SavageSmith (Aldershot, Hants, Great Britain andBurlington, VT, USA: Ashgate/Variorum, 2004), p. 55.

(٦١) أبو القاسم العراقي: عيون الحقائق وإيضاح الطرائق (مخطوط بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ق ٢).

(٦٢) الجوبري : مصدر سابق ، ص ١١٧.

(٦٣) ابن الحاج التلمساني المغربي:شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى(ط١، القاهرة، مكتبة صبيح ، د.ت)،ص١٢٣.

(٦٤) ابن دانيال الموصلي : طيف الخيال ، ص١٧٥.

(٦٥) أبو شامة " أبو القاسم شهاب الدين المقدسي الدمشقي ، ت ٦٦٥هـ" : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،(تحقيق: إبراهيم الزيبق ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧م) ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩.

(٦٦) الجوبري : مصدر سابق ، ص ١٦٧.

(٦٧) ابن الدهان: "محمد بن محمد بن سليمان بن غالب" : إرخاء الستور والكلل في كشف المدكات والحيل وإيضاح الجد منها والهزل (مخطوط بمكتبة رضا رامبو بالهند ، برقم ٢٥١٣) ، ق ١؛ منذر الحايك : مقدمة المختار ، ص ١٠.

ومعلمه[٦٨] . والشيخ أبي الخير أستاذ الجوبري ، وكان من الواقفين على هذا الفن في القرن النصف الأول من القرن السابع الهجري[٦٩]. فالتدريب والتجربة ضرورة ملحة لمن أراد أن يترقى في هذا العلم مما جعل الجوبري يصاحب المدعين ويعاشر المحتالين ، وما سمع بصاحب طريقة أو حيلة جديدة إلا قصده وتفحص أحواله وسلك الطريق معه[٧٠].

والواضح أن العلاقة التي كانت تربط الشيخ مع أُجَرَائه أو صبيانه لم تكن علاقة صراع وتناحر بحكم وضعهم الطبقي المتردي ، ولكنها كانت علاقة تهدف إلى التعاضد والالتحام داخل الحرفة تسمح للتلميذ أن يُهدي مؤلفاته لشيخه وأستاذه الذي أخذ الحرفة عنه ، معترفًا بفضله، ولم يكن هذا يمنع أن يتقبل التلميذ من شيخه الرأي والنقد والتوجيه[٧١].ولم يمنع ذلك أن يتقاضى الشيخ من صبيانه بعض المال ، ويرضى من الصاحب بالقليل[٧٢] لقاء تدريبه واطلاعه على أسرار الحرفة .وقد يكون مع الشيخ أكثر من مساعد كالشيخ سليمان الحجازي الذي كان يساعده ثلاثة[٧٣]. كما خضع له الجوبري[٧٤] نفسه عن طريق الربط[٧٥].

والواضح أن الحرفة لم تَقتَصر عَلى الرجال وحدهم؛ بَل كان للنساءِ نَصيب في الشعبذة والحيل السحرية، وَهُو مَا قَرره "صربعر"– أَحد شخصيات بابات خيال الظل لابن دانيال– في سياق حَديثهِعَن سَيدةٍ:"كَانت بمصر،عَارفة بالشعبذة، وَأعمال الكيمياوَأنواع السيميا"[٧٦].وَوَصفَهُم "الجوبري" بقوله: "النساءُ أَكثرُ مَكرًا وَحِيلًا مِن الرجَالِ، وَخَصص بَابًا فِي كِتابهِ "المختَار"؛ لِعرضِ طُرق حِيلهِن وَمكرِهن فِي أَلعَابِهن تَحت عُنوان "فِي كَشف

(٦٨) الزرخوني : زهر البساتين ، ص ٤٤.

(٦٩) منذر الحايك : مرجع سابق ، ص ١٤.

(٧٠) الجوبري : مصدر سابق ، ص١٣٤.

(٧١) الزرخوني : مصدر سابق ، ص ٤٥.

(٧٢)الزرخوني : نفسه ، ص ٤٤.

(٧٣) منذر الحايك : مقدمة المختار ، ص ١٤.

(٧٤) الحايك : المرجع نفسه ، ص ١٤

(٧٥) الربط : يسمى عند العرب "التأخيذ" هو أن يَعجِز الرجل المستوي الخِلقة وغير المريض عن إتيان زوجته. محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي ٢٧١/٥.

(٧٦) ابن دانيال الموصلي: طيف الخيال، ص١٧١.

أَسرارِ النساءِ، وَمالهن مِن المكرِ والحيلِ وَالخداعِ"(٧٧). وأشار أبو شامة في الروضتين إلى مشعبذ مغربي ذهب إلى حلب وأدهش الفلاحيّن بِمَا يُرِيهم من الشعبذة والتخاييل وَهوى امْرَأَة وعلّمها حرفته(٧٨) وَكادت نَزعةُ الفُضول لدى أحد ولاة قوص أن تُودِي بحياتهِ؛ حين طلب مِن إِحدى المشعبذات، التي قُبض عليها، أَن يُعاين شيئًا مِن أَلاعيبها، وَكانت بَارعة(٧٩).

موقف السلطة السياسية والدينية من أهل الحيل:

يبدو أن هذه الطائفة كانت ملجمة في أغلب الأحيان من لدن السلطة السياسية والتي كانت تراقبهم عن طريق المحتسبين ، وقد اهتمت كتب الحسبة بحصر أنواع الغش والتدليس التي استفحلت في هذا المجال ، ونظرت إلى أصحاب هذه الحرفة بعين الشك والريبة(٨٠) ، ودعت الحاكم والمحتسبين إلى قطع دابرهم(٨١)، وَمنع النَّاس من الْوُقُوف عَلَيْهِم(٨٢) ، وقد تعدد تعليمات السلطة لهذه الطائفة بين الحين والآخر ، والتي كانت تصدرها كلما جد جديد يستلزم ذلك؛ مثلما حدث في أيام الملك الكامل شعبان بن الناصر وأعاد "ضمان أرباب الملاعيب"(٨٣) ثم تعرضوا للتضييق في عهد الملك المظفر حاجّى وتم "منع أرباب الملاعيب جميعهم"(٨٤) ثم ما لبث مرة أخرى أن " أعاد أرباب الملاعيب..

---

(٧٧) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، ص ١٨٧ _ ١٩٢.

(٧٨) أبو شامة: الروضتين ، ٣٨٩/٢.

(٧٩) هو والي قوص الأمير طقطبا أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وانتهى الأمر بقتل المشعوذة جزاء مَهارتها. انظر/ المقريزي "تَقي الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ": المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ) ١/ ٣٥١.

(٨٠) ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد ت ٧٢٩هـ : معالم القربة في طلب الحسبة ، (كمبردج، دار الفنون ، د.ت)، ص٥٦ ، ص١٨٣.

(٨١) تاج الدين السبكي : معيد النعم ، ص٩١ ، ٩٢.

(٨٢) ابن حجر الهيتمي "أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ت ٩٧٤هـ" : الفتاوى الحديثية ، (القاهرة ، دار الفكر ، د.ت)، ص ٨٧.

(٨٣) أبو المحاسن ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري ، ت ٨٧٤هـ: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،(القاهرة ، دار الكتب والوثائق ١٩٦٠) ، ١٤١/١٠.

(٨٤) النجوم الزاهرة ١٥٠/١٠.

ونودى بإطلاق اللعب بذلك بالقاهرة ومصر"[٨٥]، وفي سنة ٧٤٤هـ بِإِبْطَال جَمِيع الملعوب[٨٦]، وفي سنة ٧٤٦هـ نُودي بِالْقَاهِرَةِ ومصر ألا يُعَارض أحد من أرباب الملاعيب .. فتزايد الْفساد وشنع الْحَال[٨٧].

وعلى ذلك كان السماح بمثل هذا النوع من الألعاب وما صاحبه من مفاسد ، وعدم الاعتراض عليه عنصرًا رئيسيًا في إشاعة روح الاضطراب والبلبلة داخل المجتمع ، وكان التساهل الحكومي عاملًا مساعدًا على إثارة أسباب الفساد والتطاول على حقوق الناس في ظل سلطة تشجع تلك الألوان من اللعب غير البرئ والإذن الكامل للجميع لعمل ما يرغبون[٨٨] ليظهر دور جماعة المنتفعين من النزعة السلطانية المتطرفة للهو واللعب السيئ حيث اشتط هؤلاء في كسب الفائدة الشخصية حتى لو كان في ذلك مضرة طائفة من المواطنين[٨٩].

ورغم نشاط الفتوى والمفتيين في مصر والشام، وإبداء آرائهم الصريحة حول ألاعيب وحيل المشعبذين فإن تلك الآراء وُجدت دون أن تكون للفقيه سلطة إكراهية تجعل أحكامه نافذة فالفقيه حاضر كمرجع لكن سلطته عمليًا في مواجهة المشعبذين تبقى من اختصاصات المحتسب الذي يمثل السلطة[٩٠].

ومما يسترعي الانتباه اختلاف الفقهاء وتباينهم حول تحريم أو إباحة هذا النوع من الحيل ؛ بسبب اختلاف مفهوم وتعريف حيل الخفة بأنواعها بين الفقهاء[٩١] إذ أدرج ابن النديم (ت ٣٨٠هـ /٩٩٠م) ممارسي الحرفة مع السحرة[٩٢] وألمح "ابنُ خلدُون" لهذا الرأي بقوله:"جعلت الشريعةُ باب، السحر والطلسمات والشعبذة، بابًا واحدًا؛ لما فيها

(٨٥) المصدر نفسه ١٠/ ١٦٨.

(٨٦) المقريزي : السُلوك ٣/ ٣٩٦.

(٨٧) المصدر السابق ١٩/٤.

(٨٨) المصدر نفسه ٢٦/٤.

(٨٩) حياة ناصر الحجي : أحوال العامة في حكم المماليك ، دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، (الكويت، ،دار القلم ، ١٩٩٤م) ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩.

(٩٠) أحمد المحمودي : عامة المغرب ، ص ٥٨.

(٩١) لطف الله قاري : مقدمة كتاب زهر البساتين ، ص ١١.

(٩٢) النديم : الفهرست ٣٤٠/٢، ٣٤١ ؛ الخزانة البابلية ، ص ٧.

من الضرر، وخُصتهُ بالحظر والتحريم"، وعلةُ ذلك عنده:"لأن أثرهُما واحدٌ... فيها نوع ضرر،باعتقاد التأثير؛ فتفسدُ العقيدة الإيمانية؛ برد الأُمُور إلىغير الله... فإن من حُسن إسلام المرء تركهُ ما لا يعنيهُ.(٩٣)".

وبالجملة أنكر الشيخ بدرُ الدين الحنبلي البعلي (ت٧٧٧هـ) مُعتقدات أهل الدولة "المماليك" في الشعبذة والسحر، وقبيلهُ من اعتقادٍ. وقالُوا بتحريمه؛ لما فيه من رد الأُمُور إلى 'غير الله'. فلم يُحرمُ اللهُ شيئًا إلا وكانت مفسدتُهُ أكبرُ من منفعته(٩٤).

وروى الونشريسي فتوتين متناقضتين مفادهما :" سُئل "ابن أبي زيد القيرواني ، أبو محمد ، (ت ٣٨٦هـ /٩٩٦م) " عن هؤلاء الذين يجلسون في الطرقات، ولهم ملاعب يظهرون للناس أنهم يقطعون رأس الإنسان(٩٥)، ثم يدعونه فيجيبهم حيناً ويجعلون من التراب دراهم ودنانير، ويقطعون السلسلة فهل تراهم بهذا الفعل سحرة؟ . فأجاب: إن لم يكن فيها كفر فلا شيء عليه وهذا إنما خفة يد ملاعب"(٩٦).. وقيل : وكان الشيخ أبو عبد الله بن عرفة رحمه الله (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) يقول في الحركات العجائب: إنها من

---

(٩٣) ابن خلدون "عبد الرحمن بن محمد بن محمد (المتوفى: ٨٠٨هـ)": ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تحقيق خليل شحاتة، ط٢،بيروت ، دار الفكر، ١٩٨٨م) ١/ ٦٦٣.

(٩٤) الشيخ بدرُ الدين الحنبلي البعلي (ت٧٧٧هـ): مُختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، (القاهرة ١٩٥٥م)، ص ١٧٤؛ ابن خلدون: المقدمة ٣٩٨/١؛ وقال الشيخ بدر الدين الحنبلي: إن السحر من الكبائر، انظر مختصر الفتاوي، ص ٤٩٥؛ إسماعيل عبد المنعم محمد قاسم: الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية في مصر زمن المماليك البحرية (رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٨٨م)، ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٩٥) يبدو أن هذه الحيلة كانت واسعة الانتشار في العالم إذ ذكرها ابن بطوطة في سياق مشاهداته للشعوذة في الصين. انظر: ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، (الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ) ١٤٩/٤.

(٩٦) الونشريسي ، أبو العباس أحمد بن يحيى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، (تحقيق: مجموعة محقيقين ، إشراف : محمد حجي ، الرباط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ١٩٨١م) ، ١٧١،١٧٢/١١.

عمل السحر"[٩٧] وأضاف ابن حجر :" هَؤُلَاءِ فِي معنى السَّحَرَة، إنْ لم يَكُونُوا سحرة فَلَا يجوز لَهُم هَذِه الْأَفْعَال، وَلَا يجوز لأحد أَن يقف عَلَيْهِم"[٩٨].

وممن ميزوا بين السحر وألعاب الخفة: "الباقلاني" بقوله : "السحرُ.. إنما هُو تخيلٌ وتمويهٌ، على نحو سحر سحرة فرعون، أما ما يعملُهُ المُشعبذُون فهُو نُوعٌ من الحيلة والخفة.. وضربٌ من النارنجيات[٩٩]والشعبذة"[١٠٠]، ثم اتفق معه تاج الدين السبكي[١٠١] ، ووافقهما الرأي ابنُ كثير الدمشقي[١٠٢]في سياق تقسيمه السحر إلى أصنافٍ ثمانيةٍ[١٠٣]منها:سحرُ الشعبذة، والأخذُ بالعُيُون[١٠٤]،وإذهالُ الناظرين، مع الاعتماد

---

(٩٧) ابن حجر الهيتمي: الفتاوى الحديثية ، ص ٨٧.

(٩٨) المصدر السابق ، ص ٨٧

(٩٩) النيرنجات: وَهو مُعرب من نيرنك؛ وهو التمويه والتخييل. وَهو إظهار غرائب الامتزاجات بين القوى الفاعلة والمنفعلة، وبالجملةِ مُؤلفة بين العالم الأكبر والأصغر لصدور آثار مطلوبة من الحب والبغض، والإقبال والإعراض، وأمثال ذلك، بكتاباتٍ مُخصوصة مؤلفة من الروحانيات المبثوثة في العالم، وإن كانت بكتاباتٍ مَجهولة الدلالات، فكأنها أرقام وحروف للأوائل، وخواصها مجهولة اللمية معروفة الآنية. وَهو فَرع من فروع علم السحر، وَهو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع. وتجب الإشارة إلى أنني لم أغير عنوان الكتاب من النارنجبات إلى النيرنجيات أو النيرجات كما تقدم لأني أردت أن أحافظ على عنوان الكتاب كما هو . انظر: طاش كبري زادة: مُفتاح السعادة، ص ٣٦٥؛ حاجي خليفة "مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، ت ١٠٦٧هـ": كَشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (مكتبة المثنى، بغداد ١٩٤١م)١/٦٩٤؛ وانظر/ اللسان والتاج (نرج).

(١٠٠) أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م): البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر، (نشره ريتشارد مكارثي، بيروت ، دار صادر، ١٩٥٨م)، ص ٣٢؛ سامية الساعاتي: السحر والسحرة، ص ٨٣؛ لطف الله القاري: مقدمة كتاب زهر البساتين، ص١١.

(١٠١) تاج الدين عبد الوهاب السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ص١١٧.

(١٠٢) ابن كثير "أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ت ٧٧٤هـ": البداية والنهاية (تحقيق: على شيري،بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨ م)، ١/ ٢٩٦.

(١٠٣) منها: "سحر الكذابين الذين كَانوا يَعبدون الكواكب السبعة، وسحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن، سحر الاستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة والدهون الخاصة، وسحر تعليق القلب عن طريق الإيهام بمعرفة الاسم الأعظم، وسحر السعاية والنميمة. للمزيد انظر/أحمد الشرباصي: حديث السحر في القرآن،(القاهرة، الهلال، عدد يناير،١٩٧٥م)، ص١٥، ١٦.

(١٠٤) صنف علماء المسلمين أمثال ابن العربي الفقيه المالكي، وأحمد البوني صاحب "شمس المعارف الكبرى"، السحر إلى صنفين: حقيقي، وغير حقيقي، ويسميه بعضهم بالسيميا، وأصله "شيم به" وقيل إنه اسم الله تعالى بالعبرانية فعربوه بالسيميا، ويُسمى السحر غير الحقيقي أيضًا بالأخذ بالعيون. للمزيد، انظر/ سامية الساعاتي: السحر ، ص ١١١.

على السرعةالشديدة، إضافةٍ إلى سحر الأعمال العجيبة، القائمة على استخدام خواص المواد، واستغلال تركيب الآلات الخاصة، بنسبٍ هندسيةٍ خاصةٍ.

واستشهد ابن كثير بما ذكرهُ المُفسرُون في قصة سحرة فرعون؛ حيثُ عمدُوا إلى حبالهم وعصيهم، فحشوها زئبقًا، وجعلُوا من أسفلها حرارةً خاصةً؛ فصارت تتلوى، بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فخُيل إلى الرائي أنها تسعى، وتتحركُ باختيارها(١٠٥).وأيدالقنوجي(١٠٦)رأي ابن كثير في أبجد العلوم.

وممن أباحها السقطي (ت٥٠٠هـ / ١١٠٧م) ، لكن بشرط أن تتم ممارستها في الشوارع السالكة أو حيث يجتمع الناس(١٠٧). وممن حرمها ابن عبد الرؤوف بقوله :" وكذلك يمنع أهل التخييل الذي يظهر أنه يفعل شيئًا من غير فعله ، ويخيل به ، مثل النواريج وقلب العين وما أشبه ذلك ، وهو من باب السحر"(١٠٨).

وأكد طاش كُبرى زادة في "مفتاح السعادة": "أن علم الشعبذة ليس من السحر في شيءٍ، لكنه لشبهه به في 'رأي العين'؛ جعلناهُ من فُرُوعه(١٠٩)، ولا تخلُو الشعبذة من مهارةٍ، ومُحاولةٍ للتسلية أحيانًا(١١٠).

---

(١٠٥) أحمد الشرباصي: مَرجع سابق، ص ١٦؛ وانظر/ سامية الساعاتي: السحر، ص ١١١.

(١٠٦) قال القنوجي في أبجد العلوم: من فروع السحر علم الكهانة. علم النيرنجات. علم الخواص. علم الرُقى. علم العزائم. علم الاستحضار. علم دعوة الكواكب. علم القلفطيرات. عِلم الخفاء. علم الحيل الساسانية. علم كشف الدك. عِلم الشعبذة. علم تعلق القلب. علم الاستعانة بخواص الأدوية. انظر/أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ): أبجد العلوم (القاهرة ، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م)، ص٤٩.

(١٠٧) السقطي المالقي ، محمد بن أحمد : آداب الحسبة ، (تحقيق: ليفىبروفنسال وكولان ، باريس ، المطبعة الدولية ، ١٩٣١م) ، ص٦٧؛ابن عبدون "محمد بن أحمد التجيبي: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،(تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي ، ١٩٥٥) ، ص ٥٣؛ لطف الله قاري : مقدمة تحقيق الخزانة البابلية ، ص ٧.

(١٠٨) ابن عبد الرؤوف ، أحمد بن عبد الله : رسالة في الحسبة ، "ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب" ، (تحقيق : ليفي بروفنسال ، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م) ، ص١١٣؛ الخزانة البابلية ، ص٧.

(١٠٩) طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ص٣٧٠.

(١١٠) سامية الساعاتي: مرجع سابق، ص ٨٣.

وكان لتداخُل الحُدود بين السحر والشعبذة؛ كفيلًا بإنهاء حياة صاحبها، أو الــزج به في السجن، في حال رغبة الحاكم التضيق على صاحبها(١١١).

الحركة التاريخية لأهل الحيل:

كنت أتصور أن حرفة الحيل وجماعات المحتالين يرتبطــون بظــروف الحــراك الاجتماعي الذي حدث في عصر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هــ الذي ذكر أن لــه كتابًــا يسمى "حيل المكدين(١١٢)" ولكن إعادة قراءة التراث العربي تؤكــد أن الظــاهرة ترجــع بجذورها إلى أزمان بعيدة ولكنها نمت وتطورت وتسارعت وتيرتها ومعدلاتها في مصــر

---

(١١١) ذَكَر ابن كثير في تاريخه "البداية والنهاية" أَنَّه قَد زُج بالحلاج الحُسَينُ بنُ مَنصُور، وكَانَ فِي حَبسِ السُّلطَانِ؛ بِسِعَايَةِ وَقَعَت بِهِ، وَذَلِكَ فِي وِزَارَةِ عَلِيِّ بنِ عِيسَى الأُولَى، وَذُكِرَ عَنهُ ضُرُوبٌ مِنَ الزَّندَقَةِ، وَوَضعِ الحِيَلِ عَلَى تَضلِيلِ النَّاسِ، مِن جِهَاتٍ تُشبِهُ الشَّعوَذَةَ وَالسِّحرَ" بخلافِ الحقيقة. انظر / ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/ ١٥٨.

(١١٢) يختلف اللغويون في الكدية وأصلها فيرى بعضهم أن الفعل كدى بكاف مفتوحة ودال مهملة مشددة بمعنى سأل قد سمع في كلام العرب وليس معربا ولا مولدا ولا محرفًا ويري بعض أنه ليس كذلك، وليست التكدية عند جماعة المكدين والمتسولين مجرد السؤال والاستجداء كما قد تفيده هذه الكلمة بمعناها الساذج فقد أخذت معنى اصطلاحيًا متعدد الوجوه كثير الدلالة فأصبحت تتضمن معنى الاحتيال للمال بمختلف الوسائل والأساليب غير المشروعة، وقد كان ظهور الكدية في المجتمع العربي منذ أيام الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هــ حتى أن البغدادي يذكر أن للجاحظ كتابا يسمى (حيل المكدين) . على أن الذي يظهر أن تعقد الحياة في القرن الرابع الهجري وشيوع المذاهب المختلفة فيه والغفلة التي اطبقت على العامة في ناحية الدين في ذلك العهد قد مكن لهذه الطائفة أن يمتد نفوذها ويقوى سلطانها في ذلك العهد اسما اصطلاحيا جديدا هو (الساسانيون) ويعود السبب في هذه التسمية إلى نشوء طائفة من المكدين من الساسانيين بعد انتهاء مملكتهم فكانوا يطوفون في البلدان وَيَقُولُون نحن من بنى ساسان فينتسبون إلى ملوكهم ثم يتذللون في السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم فيقع الأشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس إذا رأوا سائلًا متمسكنًا قالوا : ساساني، وقيل : إن ساسان اسم رجل معين وهو أول من أسس الكدية فنسبوا إليه، كما كان لديهم موهبة أدبية يحتالون بها على الناس كشأن ما نسميه في مصر "الأدباتية" وحتى مطلع القرن العشرين ارتبطت جماعات من المكدين "الشحاتين" بأنماط فنية تكاد تقترب من الدراما الشعبية، كان البعض منهم "لهم مواكب تسير فى الطرقات يستدرون عطف النساء بغناء عامر بالأسى والشجن، كان أكبرهم سنًا يتقدم الموكب بشعره الأشعث ويحمل بين يديه حجرًا يدق به على صدره – الذي أسودَّ من كثرة الدق عليه – فى إيقاع غنائي تحيط به مجموعة من الأطفال – في ثياب مهلهلة – يرددون بعد كل فقرة غنائية وكأنهم كورس مدرب – يا كريم يا رب . انظر / طه هاشم الدليمى : المكدون في التراث العربي (بغداد، مجلة التراث الشعبي، ع ١١ السنة ٦، ١٩٧٥م)، ص ١٠٣ ؛ سيد عشماوى : الجماعات الهامشية المنحرفة، ص ٢٦ .

وبلاد الشام إبان حكم دولة سلاطين المماليك التي كانت قبلة للوافدين أو اللاجئين السياسيين الذين نزحوا عن أوطانهم لأسباب عدة ، وقدموا إلى هذه الدولة طلبًا للأمان(١١٣) كابن دانيال الموصلي الذي قدم لنا صورالمحتالين المختلفة باختلاف أبعادها الثلاثة : البيولوجية (المادية أو الحسية) ، والسوسيولوجية (الاجتماعية) ، السيكولوجية (النفسية) في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي من خلال كتابه طيف الخيال. ومن الواضح من البابات أن هذه الفئات الاجتماعية الخدمية لم تكن هامشية في حياة المجتمع عصر السلاطين المماليك(١١٤).

فالحرفة التي تدور حولها الدراسة "أصل تصنيفها وخروجها من العجم، ثم تعلم أبناء العرب فعملوها أحسن من أولاد العجم ، وزادوا فيها أشياء كثيرة"(١١٥) وعُرفت بمسميات عدة في كتب التراث منها: المخاريق، البهلوانيات، الدك، والنيرنجات، والشعبذةوالمشاتين(١١٦). وأشار الجاحظُ (٢٥٥ه / ٨٦٩م) إلى أن مُسيلمة بن ثُمامة بن كثير بن حبيب الحنفي قبل انتحال النبوة ، كان أشهرُ من اشتغلُوا بهذه العُلُوم(١١٧)وكان يعرف شيئًا من الشعبذة والنيرنجيات(١١٨).

---

(١١٣) للمزيد عن أسباب وأثر ازدياد أعداد اللاجئين والوافدين إلى مصر والشام راجع : سحر السيد عبد العزيز : العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري (الإسكندرية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١م) ؛ البيومي إسماعيل : الوفود السياسي لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك (مجلة كلية الآدب ، جامعة المنصورة ، العدد ٣٠ ، يناير ٢٠٠٢م) ، ص ٥٠٥ – ٦٠٤؛ وانظر أيضًا :
Ayalon D: The wafidya in the Mamluk Kingdom (Studies on the Mamluks of Egypt, London,1977) pp.89104.

(١١٤) عطارد شكري : مصر المملوكية في بابات ابن دانيال (القاهرة ، مجلة الفنون الشعبية ، ع ٨٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩) ، ص ٢٠٤.

(١١٥) الزرخوني : زهر البساتين ، ص٩١.

(١١٦) مشتان والجمع مشاتين: الأداة أو الجهاز الميكانيكي الذي يَستخدمه المنجمون (الذي يحتوي على خريطة لبروج السماء لكشف الطالع) وضاربو الأقداح (المشعبذون بكؤوسه) انظر/ رينهارتدوزي: تكملة المعاجم العربية،(ترجمة : محمد سليم ، وجمال الخياط ، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ص 1455 ؛ لطف الله قاري : زهر البساتين في علم المشاتين ، ص ٩.

(١١٧) لطف الله القاري: مرجع سابق، ص ٩.

(١١٨) الوطواط: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي، ت ٧١٨هـ ، غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة ، (تحقيق: ابراهيم شمس الدين، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨م) ، ص٢٧٠.

كان مسيلمة يطُوفُ:"في الأسواق التي كانت بين دُور العجم والعرب، يلتقُون فيها للتسوق والبياعات، كنحو سُوق الأبلة، وسُوق لقهُ، وسُوق الأنبار، وسُـوق الحيـرة... وكان يلتمسُ تعلم الحيل والنيرنجات، واختيارات النجُوم والمتنبئـين. وقـد كـان أحكـم حيلاالسدنة[١١٩] والحواء[١٢٠] وأصحاب الزجـر[١٢١] والخـط[١٢٢] ومـذهب الكـاهن[١٢٣] والعياف[١٢٤] والساحر، وصاحب الجن؛ الذي يزعمُ أن معهُ تابعهُ"[١٢٥].وأشار إلى ما كان يقُومُ به من حيلٍ؛ مثلُ إدخال بيضةٍ في قارُورةٍ ونتف ريش حمامةٍ، ثُم إعادتـه وجعلهـا تطيرُ، وصُنع طائرةٍ ورقيةٍ تُصدرُ صوتًا، وإطلاقها إلى الجو بالليل لإيهام قومـهُ بنُـزُول ملكٍعليه[١٢٦].

وتحت عُنوان"الكلامُ على الشعبذة والطلسمات والنيرنجات:" أشار ابنُ النديم إلـى أن:"أول من لعب بالشعبذة في الإسلام "عبيدُ الكيس"، وآخرُ يُعرفُ بـ"قُطبالرحا". ولهُما في ذلك عدة كُتُبٍ؛ منها كتاب "الشعبذةُ"لـ"عبيد الكيس"، كتاب "الخفةُ والدك[١٢٧] والقـف"

---

(١١٩) السَّدَنَةُ: جمع السَّادِنُ، وهو خادم بيت الصنم، وخادم الكعبة. ابن منظور: لسان العرب ١٣/ ٢٠٧.

(١٢٠) حَوَّاءٌ وحاوٍ: يَجْمَعُ الحَيَّات . لسان العرب ١٤/ ٢٠٨.

(١٢١) الزَّجْرُ: العِيافَةُ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ التَّكَهُّن . لسان العرب ٤/ ٣١٩.

(١٢٢) الخَطُّ: خَطُّ الزَّاجِرِ، وَهُوَ أَن يخُطّ بإِصْبَعِه فِي الرَّمْلِ ويَزْجُ. لسان العرب ٧/ ٢٨٨.

(١٢٣) الكاهِن: كُل مَن يَتعاطى عِلمًا دَقِيقًا، وَمِن العَرَبِ مَن كَانَ يُسمي المنجم والطبيب كَاهِنًا، وَالَّذِي يَقوم بِأَمر الرجل، وَيسعَى فِي حَاجته. لسان العرب ٣٦٢/١٣.

(١٢٤) العيافة: زَجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وَأَصوَاتهَا وممرها، وَالظَّن والحدس. لسان العرب ٣١٩/٤.

(١٢٥) الجاحظ "عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، أبو عثمان" (المتوفى: ٢٥٥هـ): الحيوان، (ط٢، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ) ٤/ ٤٤٠؛ الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، ص ٢٦٨.

(١٢٦) لطف الله القاري: مرجع سابق، ص١٠.

(١٢٧) علم: كشف الدك في كتاب (مفتاح السعادة) : هو علم تعرف منه الحيل المتعلقة الصنائع الجزئية من التجارات، وصنعة السمن، واللازورد، واللعل، (٢/ ١٤٩٠) والياقوت، وتغرير الناس في ذلك. ويضيف حاجي خليفة :"ولما كان مبناه محرما أضربنا عن تفصيله، وإن أردت الوقوف عليه، فارجع إلى كتاب (المختار، في كشف الأستار) ، فإنه بالغ في كشف هذه الأسرار". كشف الظنون ٢/ ١٤٨٩.

لـ"قُطبالرحا"، كتاب "بلغُ السيف والقضيب والحصى والسبج[١٢٨]، وأكل الصابُون والزُجاج"؛ والحيلةُ في ذلك كتاب "المخرقةُ" لعبيد الكيس، وآخر "من رأينا ممن يلعبُ بالخفة منصُورا بالعُجب"[١٢٩].

أشار الجوبري إلى رجل بعد النبوة يُعرف بـ"تجدة بن عامر الحنفي الخارجي " كان خبيرًا بالمخيلات فأراهم المخرقات[١٣٠]كما ظهر في خلافة أبي العباس عبد الله السفاح رجل يُعرف بإسحاق الأخرس فتن الناس بمعرفته بالمخيلات[١٣١]وفي خلافة المأمون ظهر رجل يُعرف بعبد الله بن ميمون بن مسلم بن عقيل أرى الناس المخاريق من النارنجيات، فأخرق عقولهم وارتبطوا عليه إلى عصر الجوبري (ق٧هـ)[١٣٢].وفي خلافة المعز لدين الله أبو تميم الفاطمي في تنيس بالديار المصرية ظهر رجل عمل النارنجيات والحيل[١٣٣] وفي دمشق عهد الملك العادل أبو بكر بن أيوب ظهر رجل يُدعى "المفقود" كان يُظهر الثمار في غير أوقاتها بالحيلة[١٣٤]كما ظهر في الإسكندرية سنة ٦١٥هـ رجل عالماً بالحيل يُعرف بأبي الفتح الواسطي شاع ذكره بمصر ومات سنة ٦١٩ هـ مخلفًا ثروة عظيمة[١٣٥]تدل على أرباح هذه المهنة في مجتمع يسوده الأمية والجهل. ودراسة المعتقدات المتعلقة بهذه النماذج التي اتشحت بلباس الدين والوقوف على آليات عمل العقلية الشعبية تجاههم يوفر فهمًا أعمق لهوية وخصوصية المجتمع يومئذ .

---

(١٢٨) حجر جبلي صقيل أسود براق يقوي البصر بالنظر إليه، انظر: القللوسي (أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي: تُحف الخواص في طُرف الخواص في صنعة الأمدة والأصباغ والأدهان، (تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م)،، ص٧٦.

(١٢٩) ابن النديم "أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي" (المتوفى: ٤٣٨هـ): الفهرست (تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٩٧ مـ)، ص ٣٧٨.

(١٣٠) الجوبري : المختار ، ص ٤٢.

(١٣١) المصدر السابق ، ص٤٣.

(١٣٢) نفسه ، ص ٥٢.

(١٣٣) نفسه ، ص ٤٦٤٩.

(١٣٤) نفسه ، ص٦٢ – ٦٣.

(١٣٥) الجوبري : المختار ، ص ٦٤.

الحيل في إطار الممارسة الدينية والسياسية:

لطالما كان هناك اتفاق على أن الوهم مكوِّن من مكونات السحر بمعناه الأوسع . وقد تجاسر العديد من كُتاب عصري الأيوبيين والمماليك وخاطروا بإبداء آرائهم في هذه الحيل بسبب انزعاجهم من تسلط العديد منهم على أموال الناس وخداع العوام وأخذ بعضهم على عاتقه المهمة غير الهينة لتعلم خدع هذه المهنة ؛ بحيث يؤديها كما يؤديها العديد من السحرة المتجولين الذين يجوبون الأسواق والاحتفالات ، ولكن بعضهم شعر بوخز الندم على كشفه ألاعيبهم واعتراض سبيل عيش هؤلاء المساكين بذلك مثل الجوبري الذي برر لهم الحيلة بسبب الحاجة فيقول :" ومع ذلك فإن الإنسان إذا احتاج احتال"(١٣٦) إلا أنه أنزل وابلاً من الازدراء والإساءة بمن كانت في رأيه مجموعة المحتالين الرئيسية الأخرى قاصدًا بها مجموعة تتسربل برداء الدين والنبوة والمشيخة والوعاظ ، وراق للعديد من الكُتاب الذين كتبوا في أسرار هذه الحيل أن يوضحوا كيف يستخدم المنتسبين للدين الحيل وخفة اليد والنارنجياتوالتخييلات كي يدعمون الإيمان بهم(١٣٧)

واستهل أغلب من كتب لكشف أسرار حيل الشعبذة بفصول وأبواب على شاكلة "في كشف أسرار الذين يدعون النبوة "(١٣٨)، ويليه فصل بعنوان "في كشف أسرار الذين يدعون المشيخة وأصحاب النواميس والفقراء والمشايخ"(١٣٩)وفصل بعنوان " في كشف أسرار الوعاظ"(١٤٠) ولم يقتصر الأمر على كشف هذه الفئة من المسلمين فحسب بل راق للكُتاب أن يوضحوا كيف يستخدم رجال الكهنوت المسيحي الخدع لحمل الناس على تصديق ما يمارسونه من طرد للأرواح الشريرة أو إظهار لقناديل النور في الكنائس والأديرة كي يدعموا الإيمان بمفهوم التطهر الذي يدر على الرهبان ورجال الكهنوت المال

---

(١٣٦) المصدر السابق ، ص ٩١.

(١٣٧) الباقلاني: البيان ، ص ٥٧ ؛ ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ٣٤٠.

(١٣٨) الجوبري: المختار ، ص ٤١ – ٥٢.

(١٣٩) المصدر السابق ، ص ٥٣ – ٧٤.

(١٤٠) نفسه، ص ٧٥ – ٨٠.

الوفير. فأفرد الجوبري فصلا بعنوان "كشف أسرار الرهبان"(١٤١) وفصلا آخر خصصه لأحبار اليهود وما يقومون به من حيل لترسيخ الاعتقاد بقدراتهم بعنوان "في كشف أسرار اليهود وفعلهم"(١٤٢).

وأَحيانا كانت هذه الحيل وسيلةً لكسب الطاعة والتأييد المذهبي أو السياسي؛ مِثلما انقاد بعض (الإسماعيلية(١٤٣)) إلى راشد الدين سنان: وَهُو رجلٌ.. مِن البلاد الشامية... وكان رَجُلًا صَاحب حيلوسيميا، فَأَراهم بالسيميا مَا أَضل بِه عُقولهم: مِن تَخييل أَشخاص مَن مَات مِنهم عَلى طاعة أئمتهم في جنات النعيم"(١٤٤)، وكان انكشاف حيلةَ أَحد المحتالين المشتغلين بهذه الحيل؛ كَفيلًا بِأَن يَهدم أُسطورته التي صنعها لنفسه؛ مِثلما حَدث مَع رَجلٍ يُدعى ابن الشيباش. اعتقد أهله فيه وفيأهل بيته، "وَكان له نَارنجيات اِنكشفت لبعض أَتابعه، فَفارقوه وَبين للناس أمره"(١٤٥).. وأشار الذهبي إلى رجل نصاب التف العامة والخاصة حوله وكان متحيّل بالشعبذة يُدعى بأبي الكرم العجمي الصوفي توفى سنة ٦٣٧هـ(١٤٦)

---

(١٤١) نفسه، ص٨١ ٨٦

(١٤٢) نفسه، ص ٨٢ ٩٠.

(١٤٣) الإسماعيلية : فرقة من فرق الشيعة تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أبيه ولا تعترف بإمامة ابنه الأصغر موسى الكاظم كما تقول الموسوية للمزيد ينظر : الرازي، احمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي (ت : ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، الزينة في الكلمات الإسلامية، (مخطوطة نسخة مصورة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ١٣٠٦)، ورقة رقم ٢٣١ – ٢٣٢ ؛ الشيرازي، محمد الموسوي، الفرقة الناجية، (تعريب وتحقيق: فاضل الفراتي، ط١، بغداد ، مكتبة الأمين ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج٢، ص٣٥٤٣٥٥.

(١٤٤) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، ص ١٧٩؛ القلقشندي: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على)(ت٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (١٤ جزء، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م)١٣/ ٢٣٨.

(١٤٥) الجوزي (جَمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي "ت: ٥٩٧ه"): المنتظم في تَاريخ الأُمم والملوك (تحقيق: مُحمد عَبد القادر عطا، مُصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م)، ٦٥/١٧.

(١٤٦) الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٧٤٨هـ : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، (تحقيق: بشار عوّاد معروف ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م) ، ١٤/ ٢٣٤.

وكانت براعة أحد المشعبذين في التخفي والحيل عهد صلاح الدين الأيوبي كفيلة بإنهاء حياته لاتهامه بالتجسس(١٤٧)بسبب التخوف من الصليبيين والاحتراس من جواسيسهم. فى فترة الحرب مع العدو إضافة إلى التخوف من جواسيس الموحدين فى المغرب(١٤٨).

النظرة الاجتماعيةلأهل الحيل:

مما يسترعي الانتباه أنه بالرغم من الدور المهم الذي قام به أهل الحيل في المجتمع من تسلية وترفيه، إضافة إلى الحذق والبراعة الملازمين لهذه الحيل، وما يمتلكه صاحب الحيلة من ملكات ذهنية تصل به إلى حد الموهبة تتطلب ترويًا وتدقيقًا ذهنيًا فإن أغلب الكتابات التقليدية تناولتها بأسلوب أقل ما يقال فيه أنه مثير للسخرية في نظر من يجهل طبيعة هذه الألعاب.

والشواهد عضدت هذه النظرة الدونية المشوبة بالازدراء لأهل هذه الحرفة بصفتهم محتالين وقوم أشرار،من الأوباش وأراذل الطوائف(١٤٩)وحرفتهم من الحرف الدنية الوضيعة(١٥٠) يغمرون القرى والأمصار بألسنة حداد يستغلون سذاجة العامة والفلاحين(١٥١) ويسلبونهم بالفسق والفساد(١٥٢) بل ويعتبرونهم آفات ضارة يجب

---

(١٤٧) ابن وصيف شاه : جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف بفضائل مصر وأخبارها (تحقيق محمد زينهم ، ط١ ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، ٢٠٠٤م) ، ص ٩٤ ، ٩٥.

(١٤٨)عمرو عبد العزيز منير : العمران المصري بين الرحلة والأسطورة (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠١١م) ، ص ٢٤٠.

(١٤٩) المقريزي : السلوك ٥٥/٤.

(١٥٠) المقريزي "تَقي الدين أَبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ":درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (تحقيق : محمود الجليلي ، ج ٣ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٢م) ، ص ١٤٩.

(١٥١) أبو شامة: الروضتين ، ٣٨٩/٢.

(١٥٢) ابن الدهان : إرخاء الستور والكلل ، ق ١؛ المقريزي : السلوك ، ٥٥/٤.

اجتثاثها[١٥٣] وأن يُخرجوا عن البلد ويؤدبوا حيث وجدوا[١٥٤] ، ولا يليق أن يُعد ما يقومون به في العلوم[١٥٥] .لأنهم ملعونون من الله ومن الناس أجمعين[١٥٦].

ولكن هؤلاء المشعبذين كان لدورهموجه آخر؛ إذ كانوا أحيانًا مثل " شمعة في الظلام" لأن عروضهم الفنية الجماهيرية كانت تتفوق على استنكارات الواعظين أو كتابات المشككين اليائسة[١٥٧] في فضح زيف الحيل وكشف الوهم وهو ما عبر عنه :أخوان الصفا" بقولهم :"إن الشعبذة ليست شيئاً سوى سرعة الحركة وإخفاء الأسباب التي يعملها الصانع فيها؛ حتى إنه مع ضحك السفهاء منها، يتعجب العقلاء أيضاً من حذق صانعها[١٥٨]". وعدها اليوسي من أنواع الحكمة؛ لمّا فيها من الغرابة.[١٥٩]وشرفها من الصناعة نفسها فهي مثل صناعة المصورين والموسيقيين وأمثالهم[١٦٠].

فكانت ألاعيب المشعبذين ليست مقبولة فحسب ، بل جديرة بالثناء أحيانًا؛ فهى دائمًا ما تُعرب صراحة عن مكمن سر الحيلة ، وبهذا يمكن كشف الحيل الأخرى الشريرة وغير المشروعة وفضح أمرها[١٦١]. وقد ذهب بعض النظار إلى أن معرفة هذه الحيل "فرض كفاية" لجواز ظهور من يدعي النبوة، فيكون في الأمة من يكشفه ويقطعه[١٦٢].

التمثلات الذهنية لأهل الحيل في الأدب الشعبي:

شكل الأدب الشعبي جانبًا مهمًا من جوانب ذهنيات العوام الذين لم يكونوا عاطلين تمامًا عن حاسة التذوق والإبداع ويَبدو بوضوحٍ لِمَن يُطالع السير الشعبية العربية التي

---

(١٥٣) ابن حجر : الفتاوى الحديثية ، ص ٨٧.

(١٥٤) ابن عبدون ، آداب الحسبة ، ص ٤٠ .

(١٥٥) العاملي : الكشكول ١٣٨/٢.

(١٥٦) ابن عبدون : مصدر سابق ، ص ٤٠ .

(١٥٧) أوين ديفيز : السحر مقدمة قصيرة جدًا ، ص ٥٩.

(١٥٨) الرسائل ، ص ١٠٥.

(١٥٩) اليوسي : زهر الأكم ٤٢/١.

(١٦٠) إخوان الصفا : الرسائل (تحقيق: بطرس البستاني ، بيروت ، دار صادر ١٩٥٧) ، ١٠٥.

(١٦١) أوين ديفيز : السحر مقدمة قصيرة جدًا ، ص ٥٩.

(١٦٢) العاملي: الكشكول ٢/ ١٣٧.

راجت في عصري الأيوبيين والمماليك[١٦٣]لغرض الحث على الجهاد[١٦٤] خلال أزمة تاريخية ودعم للذات خشية الانفراط والضياع[١٦٥] ، ويجد أن الطبقات الشعبية أعجبت بهذه الحيل والخدع البصرية والسحرية، ومالت إليها، واستمتعت بها، ولَم تَقتصر هَذه الحيل، والخدع على قُدرات الجن التي تُؤهلهم للقيام بأيمُهمّةً تقريبًا؛ كَالتحول مِن حالٍ إلى حال، أَو تَبدل الحديد والنحاس إلى ذهبٍ، وَحمل الأثقال العظيمة، والإتيان بالكنوز المدهشة، بَل نَجد قُدرة هذه الحيل تَتعدى إلى قُدراتِ البطل الخارقة، التي تُؤهله لمحاربة جيوش كاملة، وإلى وُجودِ أَدواتٍ سحرية وخدع وألاعيب؛ تُتِيح للأبطال تَسخير الجن لخدمتهم، وتكليفهم بما يَشاءون مِن مَهمَّاتٍ[١٦٦] والتحايل على أعدائهم بهذه الألاعيب والحيل. وَيبدو أن الخدع والحيل السحرية، كانت عادةً شَائعة مُنشرة في المجتمع، وإِن لَم يَكُنْ هُناك مشكلةً مَطروحة[١٦٧].

وَتَعُج السير الشعبية عامة، وسيرة الملك سيف بن ذي يزن[١٦٨] خاصة، بأخبار السحرة وأحداثهم الخارقة، والمحتالين وحيلهم[١٦٩]. ونَجد لهم دورًا مُحوريًا في أحداث

---

(١٦٣) السبكي : معيد النعم ، ص ١٠١؛ الونشريسي: المعيار المعرب١/٦٩.

(١٦٤) ابن عبد الرؤوف: مصدر سابق، ص ١١٣.

(١٦٥) أحمد محمد الشحاذ : الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة ، (بغداد، منشورات وزارة الإعلام العراقية ، ١٩٧٧م) ، ص ٣٤٧.

(١٦٦) طلال حرب: بنية السيرة الشعبية، وخطابها الملحمي في عصر المماليك (ط١، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م)، ص ٣٥٤.

(١٦٧) المرجع السابق، ص٧٦.

(١٦٨) مِن المعروف أَن سيف بن ذي يزن – في التراث التاريخي العربي ملك من ملوك التبابعة الحميريين، وبَطل من أبطال التحرير اليمني، عِندما أعلن الثورة سنة٥٧٥م؛ للتخلص من نير الاستعمار الحبشي لبلاده، بقيادة مَلكها اليهودي ذي نواس، على نحو ما رواه لنا وهب بن منبه في التيجان، وتُعد تِلك السيرة تحديدًا مِن أخصب السير الشعبية العربية، والتي امتلأت بالعناصر الأسطورية المتعددة والمتنوعة، وأكثرها لجوءًا إلى الخيال الجامح، الذي يشي في الكثير من مواضعها بالاتكاء على الفكر الأسطوري مرجعيةً فكرية، وعلى بعض الحوادث الأسطورية المنضفرة داخل بنيتها. ويَكاد يتفق مُعظم الباحثين في مجال الأدب الشعبي العربي على أنه، رغم الأحداث في السير الشعبية العربية تَتحرك على خلفيات تاريخية أو شبه تاريخية، تُمثل كل منها حلقة من حلقات الصراع بين الشعب العربي وبين أعدائه، فإن تلك الأحداث؛ تنم عن أصول ميثولوجية ومعتقدات دينية وطقوس وممارسات سحرية قَديمة

السيرة فنَراهُم يُساعدون الجنود والفرسان، ويستخدمون عُلومهم وحيلهم للإتيان بالعجب العجاب، فالشعرةُ تَنقلب إلى حربةٍ أو سيفٍ، والرمل يَتحول إلى نحلٍ أَو قَملٍ، وهناك أبواب يُلقيها المشعبذون على بعضهم كباب الحرارة وباب النفاخ، وباب خفقان القلب والخوف، إلى أَن ينتصر أحد الساحرين والمشعبذين. فالحيلةُ والخدعةُ حدثٌ رئيسٌ ومؤسسُ، وتَترتبُ عَليه نتائجًا مُهمةً، ويدهش بتفاصيله البديعة(١٧٠).وأيَّد "الجوبري" هذه الأفكار المرتبطة بالحيل في كتابه "كشف الأسرار" في بابٍ بعنوان "في كَشف أَسرار أَهل الحراب وآلة السلاح"؛ خصصه للحديثِ عَن الخدعِ والحيلِ فِي الحُروب وبرر ذَلك بقولهِ: "اِعلَم أَن الحربَتَحتمل جَميع ما يتعلق بالمكر والخداع والحيل، ويَجوز فيها جَميع ذلك؛ لَأنَّ الإنسانَ له أَن يُدفع الصائل عَليه بالقتلِ وبغيرهِ"(١٧١).

أَما في سيرةِ بَني هِلال(١٧٢) نَجدُ إلى جانب أخبار التنجيم والشعبذة، ومَا يُصاحبها من حيلٍ سِحرية، مواقف عديدة عقلانية واضحة تَرفضهما وتَقول صراحةً: إنهما مِن

=عرفتها المجتمعات القديمة، التي شكلت فيما مَضى حضارات المنطقة العربية. انظر: محمد رجب النجار: الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، (سلسلة الدراسات الشعبية العدد ١١٠، القاهرة، هيئة قصور الثقافة ، ٢٠٠٧م)، ص٢٠٥؛ كارم محمود عزيز: الأسطورة فجر الإبداع الإنساني، سلسلة الدراسات الشعبية، العدد ٦٦، القاهرة، هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٢ م"، ص٣٧١٣٧٣.

(١٦٩) عبد الحميد يونس: مُعجم الفولكلور (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م)، ص ٣٣٩.

(١٧٠) طلال حرب: مرجع سابق، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(١٧١) الجوبري: مصدر سابق، ص ٨٥.

(١٧٢) السيرة الهلالية: مِن القصص الشعبي الذي شاع في مصر، وقد بدأت هذه السيرة في صورة غنائية، ثُم أخذت صورة قصصية منذ القرن السادس الهجري. وتدور أحداث هذه السيرة حول أسرة بني هلال، التي انتقلت مِن نَجد إلى البلاد الإسلامية المختلفة، واستقر بعضها بمصر، وتَفرق الكثيرون منها في الشمال الأفريقي والأندلسي، وكَانت لهم وقائع في تونس. وَقد صورت هذه القصة بعض جوانب الشخصية المصرية مِن خِلال السخرية التي عَامل بها المصريون حكامهم، كَما تبدو في هذه العبارة التي أَطلقها أحد المصريين مُعلقا عَلى طَمع الهلاليين في حكم مصر والاستحواذ عليها؛ حيث قال "ولكن العرب لا يملؤون أعين المصريين"، كَما أن الشعب المصري قد هَذَّب هذه السيرة، وحضَّرَها وارتفع بها، ومصرها رغم نواتها العربية. عَبد اللطيف حمزة: الأدب المصري مِن قيام الدولة الأيوبية، حتى مجيء الحملة الفرنسية، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م)، ص٢٦٤٢٧٣.

الأَباطيل[١٧٣]، وكَان الراوية أَكثر وضُوحًا فِي رَفض الحيل السحرية، وأَكثر إقناعًا عندما قال: "السحرُ أَوهام يَتخيلها الإنسان حقائق، كَما فَعل سحرةُ فرعون، وأَتو بالعصي والحبال وَخُيِّلَ للناسِ أَنها أَحنَاش، وحيات تَسعى، وهي حبالٌ وعصي"[١٧٤].

بَل نَجد رواة السير الشعبية العربية يُقدمون أحيانًا تَفسيرًا علميًا لحيل راجت في مجتمعهم ، فيُشيرون إلى أن دِهن السمندل الذي يَحمي من النار، وذَلك أَنَّ أَبا زيد الهلالي "اختلى بنفسهِ ثُمَّ أَحضر دهنَالسمندل[١٧٥]، ودَهن به جسمه؛ حتى إذا لمس النار ما تؤذيه[١٧٦]...مستشهدًابتجربة إبراهيم الخليل "عليه السلام"..إِذ مَنَّ الله عليه، وحول النار إلى برد وسلام في حين أن النارَ أحرقت خصمه وقتلته"[١٧٧] ، فهي حيلة لا تعني أن القاص تخيلها ، ورسمها ، نتيجة شطحات ذهنية ، بل إنما الأمر يتعدى الخيال ، فهي منتزعة من الواقع. وهو ما فصله وكشفه ابن شُهيد الأندلسي في الباب السادس تحت فصل بعنوان إِذَا أَردْتَ أَنْ تَأخذُ النَارَ بِيدِكَ فَلَا تَحرِقُكَ[١٧٨]، وكذا عند الجوبري في كتابه المختار في فصل بعنوان "في كشف أسرار الذين يلعبون بالنار ثم يمنعون حريقها"[١٧٩].

لم تكن السير الشعبية وحدها هى التي شكلت المظاهر الكاشفة عن ذهنية الطبقات الشعبية وتجاربهم اليومية ومواقفهم تجاه حيل الشعبذة ، إذ نجد ظهور للمشعبذين من خلال عدسة ليالي "ألف ليلة وليلة" وبتفحصنا سماتهم سنلحظ وجود نمط

(١٧٣) طلال حرب: مرجع سابق، ص ٧٧، ٧٨.

(١٧٤) مجهول: سيرة الملك الظاهر بيبرس (دمشق ، مكتبة الحضارة ومكتبة المهايني، د.ت)، ص ٢٣٢.

(١٧٥) السمندل أو السمندر: طائر يكثر بالهند لا يحترق بالنار، فيما زعمُوا، ونسيج من ريش بعض الطيُور لا يحترق. انظر/ المعجم الوسيط ١/ ٤٥٢.

(١٧٦) مَجهول: تغريبة بني هلال (بيروت ، المكتبة الثقافية، د.ت)، ص ٧٧.

(١٧٧) تغريبة بني هلال، ص٧٨.

(١٧٨) ابن شُهيد الأندلسي : الباهر في عجائب الحيل ، (تحقيق : عمرو عبد العزيز منير ، القاهرة ، مجلة الثقافة الجديدة العدد ٣٠٠ ، ٢٠١٥م) ، ص ٦٦.

(١٧٩) الجوبري : المختار ، ص ٢٠١ – ٢٠٤.

محدد تتداخل فيه الغرابة والمعرفة السحرية المرتبطة بالخديعة والتضليل واستخدام الكلمة الفارسية النَارنَجِيَات(١٨٠) التي تعني صناعة الوهم للتعبير عن فعل السحر في "الليالي".

كما أن نفور الإسلام من المشعبذين واضح جدًا في الحكايات من خلال إضفاء صفات شريرة على هؤلاء المشعبذين الأغراب(١٨١)؛ ونجد فِي الليلةِ العَاشرة بَعد السبعمائة صورة المشعبذ المسلم الذي يلتقي به الملك "باسم"، ويَتفوق على المشعبذة الكافرة "الملكة لاب" وفي الوقت ذاته يُحدد مَوقفه الرافض للضرر بالشعبذة ؛ فَهو لَا يَستعملُحيل الشعبذةإلا لدفع ضررٍ أَو عِند الضرورة القصوى(١٨٢).لتبدو لنا الأنا المتفوقة للراوي المسلم مندفعة لتطبيق تعاليم الإسلام حتى في مَجال حيل السحرِ والشعبذة(١٨٣). وصحيح أن هذه الشخصيات وصلت إلينا عن طريق الأدب ، لكنها قدمت صورة دقيقة عن حيل الشعبذة فمجرد تصوير حماقات المجتمع ونقاط ضعفه قد يمنحا في غياب المصادر التاريخية الدقيقة عددًا من التمثيلات الذهنية لأفكار الشعبذة التي احتضنها المجتمع(١٨٤).

التمثلات الذهنية لأهل الحيل في كتابات تفسير الأحلام :

ارتبط بالموروث الشعبي أشكال متعددة في التعبير الصادر عن الوجدان الجمعي للعامة منها أحلام العوام التي تشكل مصدرًا كاشفًا عن ذهنيتهم وتجاربهم اليومية ومعاناتهم الجماعية فالأحلام لا تكشف المستقبل بل تعكس صراعات اليقظة ولها دواعي نفسية ترجع إلي عوامل متداخلة منها سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية ـــ دينية، تنعكس في عقل الإنسان في النوم علي شكل أحلام. والساحر أو الكاهن أو العجوز

(١٨٠) النيرنجات: وَهو مُعرب من نيرنك؛ وهو التمويه والتخييل. انظر: طاش كبري زادة "أحمد بن مصطفى": مُفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ص ٣٦٥؛ كشف الظنون ٦٩٤/١؛ وانظر/ اللسان والتاج (نرج).

(١٨١) مارينا وورنر : السحر الأغرب مشاهد فاتنة من وحي ألف ليلة وليلة (ترجمة : عبلة عودة ، أبو ظبي ، مشروع كلمة ٢٠١٦م) ، ص ١٤٤ ، ١٥٤.

(١٨٢) ألف ليلة وليلة (ج٢، بيروت، دار صادر طبعة أصلية وكاملة، ، د.ت)، الليلة ٧١٠.

(١٨٣) مَاجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي (بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م)، ٢٠٢، ٢٠٣.

(١٨٤) مارينا وورنر : السحر الأغرب ، ص ١٧٧.

الساحرة المشعبذة كلهم في نفس الباب والتأويل لدى المفسرين أمثال ابن سيرين والنابلسي وابن شاهين وغيرهم(١٨٥)، ولكن الفرق في درجات التفسير وجنس الضرر وجنس الفاعل تبعا للرؤيا، فرؤيا الرجال مختلفة عن النساء منهم الحامل أو المتزوجة أو البنت البكر أو العزباء أو المخطوبة أو الأرملة في حالاتهم وأوضاعهم كافة.

أغلب التفسير والدلالات التي أتت في تفسير هذا الأمر هي في باب الضرر للرائي لأنه لا خير في ساحر ولا مشعبذ ولا منجم، كما أنه قد يكون من باب الاستئناس ومجرد أضغاث أحلام للرائي، ويقول بعض المفسرين بأن رؤية الساحر والمشعبذ والكاهن والمنجم في الحلم تدل على أوهام تصيب الشخص في حياته القادمة وشكوك في أمور حياته وكل أوهامه وشكوكه ستكون غير صحيحة وليست في محلها فيندم على ذلك.أما من يقاوم الساحر أو يضربه أو يطارد الكاهن ويلاحقه أو يكذبه في منامه فذلك فيه الخير للرائي.

وقد آمنت الطبقات الشعبية بالرؤى إيمانًا مطلقًا ، واعتبرت ما تراه حقيقة واقعة لامحالة وهذا يعني أن الناس آمنوا بقدرة الساحر والمشعبذ على إحداث الضرر في الآخرين لا الإتيان بأعمال غريبة بصريًا فقط(١٨٦) ولا تعوز القرائن الدالة على أن الموقف الحذر من المشعبذ وحيله في الأحلام لا يختلف عن الموقف الفقهي وما ورد في كتب الفقه والحسبة من تحفظات.

أهل الحيل في إطار الممارسة اليومية:

نجحت طائفة المشعبذين في استثمار ملكاتها الذهنية في الحيل وخفة اليد والوهم والخيالات والتخيلات والصور وإنزالها منزلة الإدراك الحسي عند الخاصة والعامة من الناس(١٨٧) لتشق طريقًا لها في المجتمع رغم التحديات العديدة دينيًا واجتماعيًا ، فأقبل

---

(١٨٥) محمد بن سيرين: منتخب الكلام في تفسير الأحلام(مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٠م) ، ٥/١ ، ٣٨٢/١ ، ٣٤٦/٢ ؛الإحسائي، أبو بكر بن محمد بن عمر المُلَّا : تنبيه الأفهام بتأويل الأحلام ، (الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٨٨م) ، ص ٧٠ ، ٧٤؛ ميلر، جوستاف هيندمان: موسوعة تفسير الأحلام (ترجمة : هدى موسى ، القاهرة ، ١٩٩٠م) ، ص٨٢.

(١٨٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٩٨؛ طلال حرب : بنية السيرة الشعبية ، ص ٤١.

(١٨٧) أوين ديفيز : السحر ، ص ٥٤.

الناس عليهم من كافة الطبقات والشرائح الاجتماعية وصدقت أغلب الطبقات ما تقوم به هذه الطائفة أو هكذا أرادوا أن يصدقوا في محاولة لتغطية واقعهم بمرارته وحجب صور الظلم والفاقة التي كانوا يعيشون في كنفها .فيقول الجوبري :" إن جميع الخلق تَرتبط عَليهم، ويَصغُون إِليهم وإِلى كلامهم، ويَتصور لَهم الطمع في المال الذي يَلعب بعقول الرجال، وتُذعِن لَه الملوك، وكُل غَني وَصُعلوك"(١٨٨).

وهوى كثير من الأثرياء إلى هوة الفقر جراء وَقوعهم فريسةًلأهل الحيل من محترفي الشعبذة بالدك والكيمياء ؛ليدركوا متأخرًا أَنَّهذه الحيل غِشٌ وخداعٌ، وضياع للمال،وعِلةٌ للجَسَدِ والروح مَعًا، وأشار ابن دانيال الموصلي إلى هذا بقوله : "مَالَ المالُ، وَحَال الحالُ، وَذَهَب الذهبُ، وَسُلِبَ السلب(١٨٩)، وَفُضِتالفضةُ "(١٩٠). وألمح لهذا المجريطي(١٩١) الأندلسي في شرحه لأسباب تأليف كتابه "غاية الحكيم" :"فالمحرك لي لتأليف الكتاب ؛ ما رأيت أكثر أهل زماننا يبحثون عند من أمر الحيل وفنون أنواع السحر وهم لا يعلمون ما يطلبون ولا لأي سبيل يقصدون وقد فنيت أعمارهم"(١٩٢)،فهم دائما مِن الكُسالى الذين يَطلبون المال دون تعب، والهناء دون عناء(١٩٣).

ولم يكن غريبًا أن يتناقل الناس بحذر حادثة نُسبت لنُور الدين مُحمد بن عماد الدين زنكي (٥١٢- ٥٧٠هـ)،أَتابك حلب ودمشق، للتشويقمفاداها أن استطاع مُشعبذ مُخادع أَعجمي عَمل حِيلة، وَدَكَّ عَليه ألف دينار، وأَخذ بها مال المسلمين وراح(١٩٤).

---

(١٨٨) الجوبري : المختار ، ص ١٠٥، ١٢٠.

(١٨٩) (السَّلَبُ) بِفَتحِ اللَّامِ المَسلُوبُ. انظر / مختار الصحاح ١ / ١٥١.

(١٩٠) ابن دانيال الموصلي: طيف الخيال، ص١٥٠.

(١٩١) المجريطي، أبو القاسم مسلمة بن أحمد (٣٣٨هـ ٣٩٨ ه) فلكي وكيميائي ورياضياتي أندلسي . شارك في ترجمة كتاب بطليموس في الفلك، وحسّن ترجمة المجسطي، وطوّر جداول الخوارزمي الفلكية، وقدّم تقنيات في علمي المساحة والتثليث.

(١٩٢) المجريطي، أبو القاسم مسلمة بن أحمد: غاية الحكيم (نشر: محمود نصار ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، د.ت) ، ص ٢.

(١٩٣) سَعيد عبد الفتاح: المرجع السابق، ص ٢٦٩.

(١٩٤) الجوبري: مصدر سابق، ص٩٦.

وأشارت المصادر إلى مشاهدة صلاح الدين الأيوبي لهذه الحيل من رجل أعجمي أبهر الجميع بألاعيب الرأس والأيادي المقطوعة، ثم خرج الرجل من داخل الخيمة يمشي صحيحًا سويا كما كان وقبل الأرض بين يدي الناصر صلاح الدين ، فبهت الناس وتعجبوا فعله[١٩٥] .

وثمة إشارة أخرى عن مشعبذ مغربي يُعرف بعبد الله القماري أقام فترة زمنية عند الأمير عز الدين أيبك[١٩٦] بزعم معرفته بالحيل والألعاب السحرية وكان يدكه مائة دينار ، فيأخذ منه ألف دينار إلى أن كُشف دكه وكذبه على يد أحد خُدام الأمير، فخاف من غائلته فما كان له إلا أن هرب[١٩٧].

وَاندفع المماليك –سلاطينوأمراء–فِي تيار الشعبذة وحيلها إلى حدِ الهوس؛ لدرجة أَن يصطحب أحد الأمراء بعد زيارة القاهرة في طريق عودته لليمن سنة ٧٥٥هـ :" كثير من الصناع والمخايلين والمشعبذين"[١٩٨].

وَيبدو أن بعض الأمراء المماليك اعتادوا اصطحاب العارفين بهذه الحيل في رحلاتهم، مِثلما اصطحب الأَمير المملوكي "يلبغا السالمي" (ت٨١١هـ) مَعه "سماقة"[١٩٩]، الذي كان آَيةً في حِفظ الأشعار والطرائف والنوادر والحيل والصناعات[٢٠٠] ؛ لدرجةِ أَنه ألف كتابًا سماه "زهر البساتين في علم المشاتين[٢٠١]" يَدل عَلى أن صاحبه كَان يُتقن هذه الحيل، وتحدث عنها حَديثَ خبيرٍ بها، وَهُو يستمتع بالعمل مع أصحاب حرفة ألعاب الخفة، وَيقضي أيامًا مَعهم في رحلاتٍ ومُخيمات.[٢٠٢] .

---

(١٩٥) ابن وصيف شاه : مصدر سابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

(١٩٦) يبدو أنه من أمراء المماليك مع أن المشهور بهذا الاسم هو آيبك التركماني زوج شجرة الدر وسلطان مصر . وقد ذكره الجوبري دون تمييز لصفته.

(١٩٧) الجوبري : المختار ، ص ١٣١ ، ١٣٢.

(١٩٨) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ٤/ ١٩٧.

(١٩٩) محمد بن أبي بكر بن عمر الزرخوني المعروف بسماقة.

(٢٠٠) المقريزي: درر العقود ، ١٤٩/٣.

(٢٠١) تَم تَحقيق الكتاب ، وطبع بالقاهرة ٢٠١٢.

(٢٠٢) لطف الله قاري: مقدمة كتاب زهر البساتين، ص ٢٠.

وَفقد أَحدُ خواص السلطان "الناصر محمد بن قلاوون" حياته بسبب اعتقاده في مُشعبذ صَدقه، وأَشاع كَذبه(٢٠٣). وكانت براعة المشعبذين في الحيلرخصة للاتصال بالولاة والسلاطين(٢٠٤)؛فقربوا إليهم مَن اشتهر بالحيل المختلفة، واختصوا بهم.فقد قرب السلطان الكامل شعبان أحد المغاربة من أصحاب الكاف مِمن لَه مَعرفة بعمل الشعبذة بالكيمياء وتحويل المعدن إلى فضة ، وقَرب السلطان إليه آقنسقر الرومي، وَهو تَاجرٌ إفرنجي الأصل، لِمَا يَعلمه مِن شَعبذة وحيل، واختص به(٢٠٥).

وطَلَبَ أَحدُ الولاة(٢٠٦) من "الجوبري" أَن يُؤلف له كتابًا على غرار كتاب "ابن شُهيد" الأندلسي(٢٠٧)، وهو (كشف الدك وإيضاح الشك)، وأَن يُبدي رأيه فيه، وبصاحبه الأندلسي(٢٠٨). كما حرص هؤلاء الأمراء على عطاء المؤلفين لهذه النوعية من

---

(٢٠٣) هو جولجين مِن خواص الناصر محمد بن قلاوون، ركن إلى أحد الدجالين والمشعوذين يَدعي النجم الخطيبي، وخالطه فعمل له من الشعوذة شيئًا، فانبهر به وصدقه، وكان النجم الخطيبي يعلم آثارًا في جسم جولجين؛ فَذكرها له ونسب إليه معرفتها بطريقته، وزاد أنه سيصير سلطانًا، فاغتر وصارح أترابه، بما أسره إليه النجم المشعوذ، واشتهر أمره، حتى بلغ السلطان فخاف على نفسه، ووسط جولجين سنة ٧١٥هـ. انظر/ ابن حجر العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (بيروت ، تصحيح سالم الكرنكوي، دار صادر ١٩٦٧م)، ١/ ٥٤٣.

(٢٠٤) اتصل بعضهم بالسلطان الناصر حسن، فاتخذه الأخير لنفسه، حظي عنده وأخبره بالمغيبات وعمل السيمياء، وهو مُحمد بن أبي الثناء بن ماضي المعروف باين الهرماس، وكان له طرف من معرفة السيمياء. انظر/ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٤١٣/٣.

(٢٠٥) المقريزي: السُلوك ٢/ ٧١٦؛ إسماعيل عبد المنعم محمد قاسم: الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية، ص ٣١٣.

(٢٠٦) مَسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي (ت ٥٨٩هـ) صَاحب الموصل وسنجار في أيام صلاح الدين الأيوبي.

(٢٠٧) أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي المعروف بابن شُهيد (ت٤٢٦هـ)، وهو الشاعر والأديب المشهور، صاحب رسالة "الزوابع والتوابع"، ورسالة النارنجيات هذه جزء من كتابه "كشف الدَك وإيضاح الشك" وَقَد ذَكره "الجوبري " مِن ضِمن الكُتب التي رَجع إليها. انظر/ المختار، ص ٢٢.

(٢٠٨) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، ص ٢٢، ٢٣.

الكتابات[٢٠٩] فِي إشارةٍ لحرص الطبقة الحاكمة على اقتناء الكتب التي تَناولت هذا الفن والتشجيع على التأليف فيه، والشغف بها[٢١٠].لدرجة أن يؤلف المظفر يوسف بن عمر (المتوفى ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) –عاش بمصر لفترة[٢١١] – كتابًا بعنوان " المخترع في فنون من الصنع"[٢١٢] تناول فيه الألعاب التي تدخل في باب الحيل والدك ، وطرق اعتادهاأهل الحيل[٢١٣]ووصل الشغف بهذا اللون من الألعاب أن تعلم بعض المماليك هذا النوع من الحيل مثلإستدار[٢١٤] الناصر مُحمد بن قلاوون[٢١٥]"الذي عَرَفَ العديد من حيل وألعاب المشعبذين ومارسها[٢١٦]. وثمة شبيهًا له في أدب العامة وهو الأمير المملوكي"وصال"، بطل أولى بابات خيال الظل في عصر سلاطين المماليك إذ يقول:"رَأَينَا الحِيلَة عَلَيهِم وَلا الحَاجَةِ إِليهم[٢١٧]، وَتركنا العَمَل، وَمِلنَا إِلَى الراحةِ وَالكسلِ، وَانفَرَدنَا

---

(٢٠٩) مثل الأمير سيف الدين قليج الذي أعطى للجوبري مقابل كتابه المختار في كشف الأسرار. حيث حصل الجوبري منه على مكافأة لا ترتقي لما كان متوقعًا ، لكن الجوبري كان قانعًا بها بدليل ما قاله عن الأمير سيف الدين بأنه :" أنعم وتفضل ، وفي هذا القدر كفاية". الجوبري : المختار ، ص ١٦٧.

(٢١٠) مثلكتاب:"الباهر في عجائب الحيل" الذي كان قد وصل إلى مقتنيات السلطان أحمد الثالث.

(٢١١) سامي الصقار : كتاب المخترع في فنون من الصنع (الرياض، مجلة الدارة ، مج٢١ ، ع ١ ، ١٩٩٥م) ، ص ٧٩.

(٢١٢) بن رسول " المظفر يوسف بن عمر بن علي ت ٦٩٤هـ" : المخترع في فنون من الصنع ، (تحقيق : محمد عيسى صالحية ، الكويت، مؤسسة الشراع ، ١٩٨٩م) .

(٢١٣) ابن رسول : المخترع ، ص ٢٠١ – ٢١٥.

(٢١٤) أستدار : لفظ مركب من " أستد" الأخذ و " دار " أي الصاحب والمتولي ، أي : متولي الأخذ ؛لأنه يتولى قبض المال السلطاني . وصاحب هذا المنصب هو القائم على الشؤون الخاصة بالسلطان ، والمتحدث في أمر البيوت السلطانية ، من مطابخ وشرابخانة ، وغلمان ، وحاشية . انظر / حسان حلاق ، عباس صباغ : المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية (بيروت، دار العلم للملايين ، ١٩٩١م) ، ١٧.

(٢١٥) الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون تاسع سلاطين المماليك البحرية ، لقب بأبو المعالي ، وأبو الفتح ، جلس على تخت السلطنة ثلاث مرات.

(٢١٦) هو الاستادارالجاولي عام ٧٠٤هـ للمزيد انظر/ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٤، ص ١٨٧؛ إسماعيل عبد المنعم: الأمراض الاجتماعية، ص ٣١٣.

(٢١٧) الجوبري : المختار ، ص ٩١.

بِتَدبِير المدكات[٢١٨] وَالحيَّل، وَتَعرفنا في تِلكَ الفِرق، وَلَم يَصُدُّنا رُعــبٌ وَلا فَــرَق"[٢١٩]. ونرى مثالا عن الطمع في زيادة المال عام ٨٥٣هـ حين تناقل الناس في القاهرة واقعــة حدثت للسلطانُ"جقمق"[٢٢٠] وكان فَريسةًلأحدهم احتال عليه بهذه الألعاب والحيل. ولم يَزل ذَلك الشخص حتى أتلف على "جقمق" مالا كثيرًا؛ فأمر بسجنه[٢٢١].

وفيما يتعلق بطبقة العامة فقد غدا من المعروف أن الأمية خاصية ملازمة للعوام في المجتمعات الإسلامية الوسيطة[٢٢٢] ، ولم تتردد بعض المصادر التقليدية الإشارة إلــى ذلك في وصمهم بالجهل متشبثين بالشعبذة والسحر ، وهو ما حدا ببعض المؤرخين إلــى التنبيه على خطورة تعلم العوام لأن : " تفقه الرعاع فساد الدنيا، وتفقــه السِّــفْلَةِ فســاد الدين"[٢٢٣] ورغم الموقف الديني المناهض للمشعبذين إلا أن هذا الموقف لم يكــن قــادرًا على إقرار توازن اجتماعي والتخفيف من حدة التناقضات الاجتماعيــة ومعالجــة وضــع العامة المتأزم نتيجة الفقر والإفقار وتردي الأحوال وهموم المعيشة ، والغلاء مع الوبــاء وموقف السلطة المتناقض تجاه مثل هذه الظواهر وهى عوامل مسئولة عن زيادة حجــم تلك الفئات وتزايد فعالياتها وتنوع دورها المتأرجح بين الاحتيال واللهــو وســط طبقــات العامة .

---

(٢١٨) المدكات من حيل المكدين وفاعلها هو المدكك: ومَن دكك أَو فَكك أَو بَلغك بالحرِ؛ المدكك: الَّذي يَخرج اللوى من العصيان ويحتال على مَن به وجع الضرس، حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثُم يُخرجه ويوهم أنه أخرجه بالرقية؛ وفكك: إذا فك السلاسل على الطريق؛ بلفك: إذا جر الخواتيم بالابريسم الرقيق. للمزيد انظر/ طه الديلمى: المكدون في التراث العربي، ص ١٠٧.

(٢١٩) ابن دانيال الموصلي "شمس الدين مُحمد ابن دانيال الموصلي الكحال (ت٧١٠ه): طيفُ الخيال ، ص ٧٩.

(٢٢٠) الظاهر سيف الدين جمقمق أو جمقمق العلائي الظاهري سيف الدين أبو سعيد، هو سلطان من المماليك البرجية، تولى حكم مصر في الفترة من ٨٤٢ هـ إلى ٨٥٧ هـ. وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك، والعاشر من ملوك الشراكسة.

(٢٢١) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ٢٦٩.

(٢٢٢) أحمد المحمودي : عامة المغرب ، ص ١٤٠.

(٢٢٣) الطرطوشي " محمد بن الوليد بن محمد بن خلف" : الحوادث والبدع ، (تحقيق: على حسن الحلبي ، القاهرة ، دار ابن الجوزي ، ١٩٩٨م) ، ص ٨٠.

إن نَظرةً واحدةً إلى ما ذكره "الجوبري"، وأكده مِن بعده "أوليا جلبي"؛ تُدهشنا وتُبهرنا بهذا الكم الذي ذكروه عن حيل المشعبذين ، وربما الذي لَم يذكروه: "والذي خَفي عَنهم أَكثرُ مما وقفوا عليه"(٢٢٤) في إشارةٍ مِن "الجوبري" إلى كثرةِ هَؤلاء الذين لجَأوا إلى طرق الاحتيال؛ لخداع العوام بأمور تَعجز العقولُ عَن ضبطها؛ فَيُذهلون عَقل مَن يحضر مثلما ذكر صاحب "كِتَابُ كَشف الظنون عن أسامي الكتبِ والفنونِ"، عِند حديثه في "باب علم الحيل الساسانية"(٢٢٥)، وكما قرر صاحب "المختار في كشف الأسرار" عند حديثه في "باب كشف أخبار أهل الكاف، وهي الكيمياء"(٢٢٦)، وحديثه "في كشف أسرار المعزمين"(٢٢٧).

ورُغم معرفة "الجوبري" الموسوعية في حيل المشعبذين بقوله: "لَم أترك شيئًا، ولم يَفتني شيء مِن الحيل "،إلا أنه وقع فريسة لبعض الحيل ، وتاه بين ألاعيب المشعبذين ؛ فَهو لَم يستطع أن يُدرك تغيير سحنة صديق هندي له اسمه "مَحمودبن شابان"(٢٢٨) في إشارةٍ إلى أَي مدى بلغ دهاء هذه الفئة المهمشة، ومدى حيلهم ومهارتهم الشخصية التي استطاعت أن "تَسلب عُقُولهم، ويَتمكنوا مِنهم، ويأخذون عوض الدراهم دنانير"(٢٢٩)بل ويصل الأمر أن ينقاد كثير من الناس وراء رجل في الشام في القرن السابع الهجري ؛ كان يعمل المخاريق من المخيلات وكانت حيلته في العصا التي يرعى بها الغنم فكان يلقيها من يده فتصير ثعبانًا تسعى بين يديه(٢٣٠) .

واستمرت الظاهرة إلى عصر الرحالة "كارستنيبور" الذي نقل لنا صورة حيوية من القاهرة عن دور هذه الطائفة في المجتمع ويُقدم صورةً نَادرةً لتفاصيلِحياة وعَمل المشعبذين ولاعبي الألعاب السحرية ودورهم في إسعاد العامة بقوله: "ومِن بَين الفنانين الصغار الذين يَهيمُون فِي طُرقاتِ القَاهرة رأيتُ واحدًا مَعه نافورة الحواة الحجرية (Fonsintermittens) .. وكَان الناس مِن العامة يَنقدونه مِن المال النزر اليسير –

(٢٢٤) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، ص ٨٧.

(٢٢٥) حاجي خليفة : كَشف الظنون ١/ ٦٩٤؛ سيد عشماوي: الجماعات الهامشية، مرجع سابق، ص٩٤.

(٢٢٦) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، مصدر سابق، ص ٨٧.

(٢٢٧) الجوبري: مصدر سابق، ص ١٢٠.

(٢٢٨) المصدر السابق، ص ٥، ص ٧٠.

(٢٢٩) نفسه، ص٨٨.

(٢٣٠) الجوبري : المختار ، ص ٥٠.

الذييَعيش به عيشةً بائسة–ورأيتواحدًاآخرمِن هؤلاء الحواة يُلقي تُرابًا في إناء به ويُخرجه جَافًا مَرةً أُخرى، ورجلًا مَعه كُوز لَه قَاعان وغطاء واحد، يَضعُ عَلى القاعِ العُلوي بَيضةً، وعلى القاعِ السُفلي كتكوتين،...وبعض من هؤلاء الحُواة يحتالون على العامةِ للحصول على النُقودِمِنهم"[٢٣١]. لِيقوم كُل منهم بدفع أي مبلغ مالي نظير تلك الأفعال التي جلبت لَهم التسلية ومنحتهم بعضًا من السعادة، ويَدفع أغلب المتفرجون عَن طيب خاطرٍ لمواصلة الفرقة العرض الشيق الذي كانت تقوم به.واسماهم الرحالة "مُصطفى أَحمد عاليغاليبولي لي "[٢٣٢]بـ"أصحابُ اللعب"[٢٣٣]ويصف حال بعضهم بقوله :"يَعيشون مِثلُ الأَغنياء مِن الكؤوسِ الفارغة"[٢٣٤] في إشارة لمدى تطور الحرفة وإدرارها المكاسب على بعض أصحابها الحذقة.

التواجد والانتشار المكاني لأهل الحيل:

رغم أن الطائفة ظهرتفي كتب التراث الفقهي كنتوء شاذة أو كبؤرة للاحتيال واللهو وسط العامة إلا أنهم في الوقت ذاته مثلوالنا مرآة عاكسة لمجموعة من الاختلالات المجتمعية السياسية والاقتصادية والسياسات غير المتوازنة على المستوى الاجتماعي مثل البطالة وعدم وجود وسيلة مشروعة للتعايش :" فإن الإنسان إذا احتاج احتال "[٢٣٥]بل وعدم وجود محل إقامة مستقر[٢٣٦] الأمر الذي يستدعي اتخاذ الطرقات والأسواق والتجمعات والاحتفالات الخاصة والشعبية ميدانًا لعملهم[٢٣٧] .

---

(٢٣١) كارستنيبور: رحلة إلى بلاد العرب وما حولها (ج١ "الرحلة إل مصر" ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م)، ص ٣٢٠؛ وانظر اللعبة أيضًا عند إدوارد وليم لاين: عادات المصريين المحدثين، ص ٣٩٧.

(٢٣٢) المؤرخ العثماني مصطفى عالي غاليبولي لي ١٥٤١ ١٦٠٠، المنسوب الى مدينة غاليبولي التي فتحها السلطان العثماني اورخان عام ١٣٥٤. وهو كرواتي الأصل، عمل كاتباً للسلطان سليم الثاني.

(٢٣٣) مصطفى عالي: موائد النفائس في قواعد المجالس (ترجمة حازم سعيد محمد منتصر، ضمن دراسة نقدية وترجمة إلى العربية (الزقازيق ، رسالة ماجستير غير منشورة قسم اللغة التركية، جامعة الأزهر ٢٠٠٣م)، ص ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢٣٤) مصطفى عالي: موائد النفائس في قواعد المجالس، ص ٢١٨

(٢٣٥) الجوبري: المختار ، ص ٩١.

(٢٣٦) سيد عشماوي : الجماعات الهامشية ، ص ١٧.

(٢٣٧) يقول برايس دافين: "رأيتُ هؤلاء الأولاد عَلى صهوات الجياد الفاخرة المزركشة، يُطاف بهم أنحاءَ المدينة، ويَتقدمهم موكبٌ حاشد، وعلى رأس هذا الجمع رجلٌ يَحمل عصًا كَبيرةً مزينة بالأشرطة والأزهار، ويتبعه عدة مُشعوذين. انظر: بريس دافين: إدريس أفندي في مصر (ترجمة: أنور لوقا، القاهرة، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م)، ص ٤٧.

كما تَكشفُ لَنا الكتابات التاريخية عَن أَهمية الدور الاجتماعي الذي لَعبه جانب كبير من هذه الفئة في المجتمع واتساع الحيز المكاني لهم وقد رصدته لنا عدسة الجوبري أثناء تحققه وتمعنه بأمور المحتالين ولاحظنا انتشارهم في دمشق حيث ينشط عملهم يوم السبت في الميدان الأخضر، وفيه حلق المشعبذين"[٢٣٨]، وشاهدهم الجوبري في مصياف[٢٣٩] سنة ٥٥٣هـ ، الرُها ، وحران عام ٦١٣هـ ، وأنطاكية ، وتمنين في البقاع ، وجوبر ، وصيدنايا[٢٤٠] ، وحلب، ويطيل الجوبري المكوث في مصر لكثرة محترفي الحيل والمشعبذين والمفتونين أو المنكوبين بهم أكثر من غيرهم[٢٤١] ونجده في القاهرة عامي ٦٢٠ هـ[٢٤٢] ، ٦٢٣هـ[٢٤٣] وفي المحلة[٢٤٤] وفي صعيد مصر ، وعيذاب[٢٤٥]، وقوص[٢٤٦]، والبهنسا[٢٤٧].

والواضح أن منطقة باب اللوق كانت مَركز تَجمعٍ مُهمٍ لَهم لفترات طويلة، وكَانوا مَقصد رَاغبِي الترويح عن نفسه أَو للمتعة، عَلى حدِ شهادة ابن دانيال الموصلي[٢٤٨] والمؤرخ المقريزي والرحالة الحسن ابن الوزان[٢٤٩]من بعده[٢٥٠]: "رحبة باب اللوق،

---

(٢٣٨) القزويني " زكريا بن محمد بن محمود " : آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت، دار صادر ، ١٩٩٩م) ، ١/ ١٩١.

(٢٣٩) الجوبري : المختار ، ص ٢٥٤.

(٢٤٠) صيدنايا: بلدة قديمة شمال دمشق ، تضم كنيسة مشهورة وأديرة. الجوبري: المختار، ص ٨٣.

(٢٤١) محمد التونجي : مقدمة كتاب المختار في كشف الأسرار (الكويت، دار الكتاب الجامعي ، ١٩٩٦م) ، ص ٣.

(٢٤٢) الجوبري: المختار ، ص ١٨٧.

(٢٤٣) المصدر السابق، ص ٧٨.

(٢٤٤) نفسه، ص ٨٤.

(٢٤٥) نفسه، ص ١٤.

(٢٤٦) المقريزي : السلوك ٣٦/٤.

(٢٤٧) الجوبري: الصدر السابق ، ص ٢٦٠.

(٢٤٨) أشار إليها في طيف الخيال بقوله على لسان أحد شخوص باباته:" فَيَقُولُ الأمير وَصال: أَيْنَ تِلْكَ الأيام الَّتِي كانت مواهب،وَكانت بإسعاف الأحبة حبايب.وأَيْنَ أوقات المعشوق،وَالاجتماعات بباب اللوق".

(٢٤٩) هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي، المعروف بليون الأفريقي، صاحب المصنف الجغرافي التاريخي العظيم «وصف افريقيا». ولد في مدينة غرناطة سنة ٨٣٩ هـ (١٤٨٨م).وقد شاهد، في زيارته للقاهرة في ربض باب اللوق "الأزبكية" الكثيرَ من اللاعبين والحواة ومُدربي الحيوان، والعديد من المشعوذين وأصحاب الحيل، ومَا كَانوا يُقدمونه من عُروضٍ مُتنوعةٍ؛ للترويح عن النفوس". ابن الوزان "الحسن بن محمد الوزان الزياتي، المعروف بليون الإفريقي": وصف إفريقيا (ترجمة عبد الرحمن حميدة، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م)، ص ٥٨٣.

(٢٥٠) ابن الوزان : وصف إفريقيا ، ص ٥٨٣.

وبهـا تَجتمـع أَصـحابُ الحلـق، وأَربـابُ الملاعـب والحـرف؛ كالمشـعبذين والمخايلين[٢٥١]والحواة والمتأففين، وغير ذلك "[٢٥٢]، وأشار المقريزي إلـى اتخـاذ مـا أسماهم بـ:" أصحاب الملعوب"[٢٥٣]. أماكن تجمع العامة في الميادين والأسواق كميـدان القبق[٢٥٤] لدرجة أثارت إعجاب السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون في هذا الميدان لكثرة من حضر هناك من أصحاب الملعوب[٢٥٥] ،إضافة إلى الطرق والشوارع الرئيسـية مكانًا لعملهم :" تجتمع الناس لذلك في الطريق الشارع المسلوك من جامع الطبـاخ إلـى قنطرة قدادار"[٢٥٦]. وقد سُئل "ابن أبي زيد القيرواني ، أبو محمد عن حُكم هؤلاء الـذين يجلسون في الطرقات ، ولهم ملاعب"[٢٥٧] ، " فيحشر هنالك من الخلائـق للفرجـة"[٢٥٨]، لتنهال عطاءات الناس عليهم[٢٥٩] .

واستمر دورهم في المجتمع إلى عصر المؤرخ الجبرتي الذي شاهد تَجمعًا لَهـم في الأزبكية في إحدى الحفَلات الخاصة لـ"إسماعيل القلق الخربطلي كتخدا العزب" لمـدة ثلاث أيام حيث اجتمع "أَرباب الملاهي والبهالوين والمشعبذين وطوائـف الملاعبـين.. ، ونصبوا أَراجيح.. يَعملون شَنكا وحراقات ومدافع وسواريخ"[٢٦٠].

كَما نلمح استمرار دورهم في المجتمع إلى ما بعد فترة الدراسـة فـي أَشـارات الرحالةُ أوليا جلبي إلى أن عدد المشتغلين في القاهرة بهذه الحيل ما يقارب ثلاثمائة نفر. يَقومون باللعبِ في المقاهي والخمارات، ومقاهي البوظة "الجعة"... ولَهم سَـبعون نوعًـا

---

(٢٥١) لاعبو خيال الظل .

(٢٥٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٣/ ٩٦.

(٢٥٣) الخطط ٢٠٣/٣.

(٢٥٤) المقريزي : الخطط ٢٠٢/٣.

(٢٥٥) المصدر السابق، ٣/ ٢٠٣.

(٢٥٦) نفسه، ٣/ ٩٦.

(٢٥٧) الونشريسي : المعيار المعرب ١٧١،١٧٢/١١.

(٢٥٨) المقريزي: المصدر السابق، ٣/ ٩٦.

(٢٥٩) ابن الحاج : المدخل ١٤٦/١.

(٢٦٠) الجبرتي " عبد الرحمن بن حسن، ت ١٢٣٧هـ": تَاريخ عَجائب الآثار فِي التراجم والأخبار (بيروت ، دار الجيل، ١٩٩١م) ٢/ ٢٩٠.

من الحيل واللعب[٢٦١]". ويبدو أن سوقهم راج في الاحتفالات والمواكب الخاصة بترقية المماليك[٢٦٢] أو الزواج. وعِندمَا زَار القاهرة الرحالةُ المغربي "عبد الله العياشي" شاهد المشعبذين، وأصحابِ اللعب، كَما شاهد كَثيرًا مِن حلق المعجبين بهم في سائر الأيام، يتجمعون في منطقة الرميلة"[٢٦٣].ويذكر ستانلي لينبول مشاهدتهلبعضَ المشعبذين فِي مَنطقة الحسين بالقاهرة، وَقَد اِنهمكوا فِي عَملهم فِي غَير انقطاع لإسعاد النفوس"[٢٦٤].

والواضح أن نشاط هذه الفئة لم يقتصر على المدن فقط وإنما وجدنا إشارات تدل على تمكنهم من القرى[٢٦٥] إذ آمن الفلاحون في دمشق – كما في سواها من قرى بلاد الشام – بالشعبذة التي سيطرت على عقول السواد منهم[٢٦٦] ، ويشير المؤرخ أبي شامة إلى :"ظهور رجل من أهل الْمغرب في مشغرا قَرْيَة من قرى دمشقوَأظْهر من التخاييل والتمويهات مَا فتنبِهِ النَّاس واتبّعه عَالم عَظِيم من الفلاحين وَأهل السوَاد وَعصى على أهل دمشق ثمَّ هرب من مشغرا فِي اللَّيْل وَصَارَ إِلَى بلد حلب وَعَاد إِلَى إفسادعقول الفلاحيّن بِمَا يُرِيهم من الشعبذة والتخاييل"[٢٦٧]، ونلمح في "هَز القحوف" حضورًا واضحًا لهم في ريف مصر واحتيالهم بأكثر من وسيلة : "يَا مَولاي: اِحمد الله؛ أَنت طَلبت مزينًا فمنَّ الله عليك بمزين ومنجم وطبيب، وعارف بصنعة الكيمياء والسيمياء "[٢٦٨].

---

(٢٦١) أوليا جلبي: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش ، ص ٥٣.

(٢٦٢) نبيل جميل قرحيلي : الاحتفالات في عصر المماليك ، (دمشق، رسالة ماجستير – غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة دمشق ، ٢١٠م) ، ص٩٦.

(٢٦٣) العياشي "أبو سالم عبد الله بن محمد": الرحلة العياشية، (ج١، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، أبو ظبي، دار السويدي، ٢٠٠٥م)، ص ٢٦٦.

(٢٦٤) ستانلي لينبول: سيرة القاهرة (ترجمة حسن إبراهيم، على إبراهيم حسن، القاهرة ، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١م)، ص ٤١.

(٢٦٥) عبد الجبار أحمد محمد العملة : نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز الحسامي الناصري ، (نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح ٢٠٠٠م) ، ص ٣٤٨.

(266) Conder : clade. Tent Work in Palestine, London,1889.p312.

(٢٦٧) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩.

(٢٦٨) يُوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف (القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٨هـ)، ص ٣٧٠.

دور الكُتاب والمثقفين في مواجهة ممارسات أهل الحيـــل:

هيمنقطاع عريض من المشعبذين بحيلهم خاصة – المتعلقة بالكيميـاء – علـى عقول العديد من الطبقات في وقتٍ سقطت فيـه معـايير القـيم الموضـوعية والأفعـال الواعية؛وبات الخيال والشعبذة من البدائل الماثلة أمام العاجز واليائس والضـائع وفاقـد الحيلة، يلوذ بها كنوعٍ من التسكين التعويضي. والإنسان في غيبة الأمـان والاسـتقرار، وأمام واقعه الواهن الممتلئ بالمرارات التاريخية يستعيض بالغيبيات كملاذٍ بديل وسرعان مَا تصدى العديد من المثقفين والكُتاب العرب والمسـلمين لهـذهِالظاهرة؛ فأُلفـت كُتـبٌ وشروحات في هذا المجال(٢٦٩). وهذه النوعية من الكتب التراثية لَم تَلق العناية الكافيـة، رغم احتوائها على كثير من المعلومات، التي تَعتمد على معرفةِأغلب مؤلفيهـا بقـوانين العلوم المختلفة من ميكانيكا وفيزياء وكيمياء، ونبات وحيوان وبالصناعات المختلفة(٢٧٠).

يَبدو أَن هَذه الكتب كَانت مُحببة إلى نفوسِ العديد مـن طبقـات المجتمـع فـي عصري الأيوبيين والمماليك ، وظلت بضاعة رائجة خاصة لـدى ذوي السـلطة والجـاه لحقب طويلة . وهو ما أشار إليه "الزرخوني المصري فـي القـرن التاسـع الهجـري/ الخامس عشر الميلادي" في كتابه "زهر البساتين" بقوله: "رأيتُ كُتبًا كثيـرةً، فـي هـذه الصنعة الظريفة، لَا يَصلُ إِليها كُل أحد، إذ هي مَحبوبة إلى نفوس الرؤسـاء، ومَشـرحة لصدور الجلساء. صَنَّفها الحكماءُ، لنزهة الملوك القدماء، وَقد تكلم عليها كل أسـتاذ بمـا علمه، وكنت أَتكلم عليها طول الزمان(٢٧١)". ووصفها المجريطي في سياق عرضه للمقالة الرابعة من كتابه "غاية الحكيم " والتي خصصها للحديث عن "أنموذجات من أعمال الحيل السحرية " بقوله :"هى أحسن أنواع السحر"(٢٧٢) في إشارة إلى استحسانه لهذا النوع من الحيل السحرية.

---

(٢٦٩) تميزت هذه المؤلفات بأساليب حكي جديرة بالدراسة.

(٢٧٠) لطف الله القاري: مُقدمة كتاب زهر البساتين في علم المشاتين، ص ٩؛ نصوص نادرة من التراث العلمي، ص ٢٨١.

(٢٧١) محمد بن أبي بكر الزرخوري: زهر البساتين في علم المشاتين، ص ٤٣؛ حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ٩٥٨.

(٢٧٢) المجريطي : غاية الحكيم ، ص ٢.

والواضحُ أَن العديد ممن كَتبوا في أسرار هذه الحيل قَد تَعاطوها زمنًا، ثُم هداهم الله سبيل الرشاد؛ فأخذوا يَدرسونها كي يُحاربونها[٢٧٣]،وقاموا بتدوين أَلاعيب هذه الفئة الضالة (على حد قولهم)[٢٧٤]. والسُبل التي يَجذبون بها الناس ويَخدعونهم فلم يجد "الجوبري" – عَلى سبيل المثال لا الحصر–وسيلةً سُوى تأليف كتاب ضخم، يَضم كُل ما لديه من معلوماتٍ، وَيبدو أنه عَرَف عَن ذلك فاكتفى بمختار منها[٢٧٥].وفِي سبيل ذلك رجع إلى عشرات من الكتب، السابقة عليهوالتي لَم يبق لنا منها سوى الاسم، ونظرة واحدة إلى الصفحات الأولى مِن مُقدمته كفيلةً بتقديرنا للكم الكبير من الكتب الضائعة علينا في هذا العلم، فبعد أن يُعدد جانبًا مِن هذه الكتب يَقول: "ولولا خَوف الإطالة لكنت ذكرت جميع أسماء الكتب، وذَكرت كل كتاب، وكل ما فيه، ومَا يقتضي وما يختص، ولكن قَصدت الاختصار والإيجاز"[٢٧٦] وليته فصل وأجاز .

ومن خلال فقرات الكتاب نستطيع أن نلمح بوضوح جهد الجوبري لكشف المحتالين ومنع شرهم وتسلطهم على الناس الذين توجه لهم في كتابه ليجنبهم الوقوع في حبائل الغش والشعبذة[٢٧٧] ، فهو على الدوام يجعل عناوين الأبواب في كتاب المختار " كشف أسرارهم" أي المحتالين ، ويبدأ الباب دائمًا بـ"أعلم" وينهيه بـ " افهم" ويستمر في تحذير الناس وتنبيههم إلى مكر وخبث المحتالين[٢٧٨] .

بعض الكُتابلم تقتصر معرفتهم بهذه الحيل على الكشف وحده بل الإبداع أيضًا[٢٧٩] فحين

---

(٢٧٣) يشير الجوبري إلى هذا المعنى بقوله :" فليعلم من وقف على كتابي هذا أني لم أترك فنًا من الفنون ولا علمًا من العلوم إلا وقد باشرته ، وكشفت سره ، وسر من ذهب إليه ، فليعلم وليحذر نفسه ، فافهم ذلك". المختار ، ص ١٠١.

(٢٧٤) ذكرها أغلب الذين كتبوا في هذا الفن.

(٢٧٥) الجوبري: المصدر السابق، ص ٥.

(٢٧٦) الجوبري: مصدر سابق، ص ٤، ص ١٩، ص٢٠، ص٢١.

(٢٧٧) منذر الحايك : مرجع سابق ، ص ١٩.

(٢٧٨) الجوبري: مصدر سابق ، ص ٩٠ .

(٢٧٩) في إنجلترا تجاسر اثنان من الشكوكيين الإنجليز ، هما النبيل الإليزابيثيريجالند سكوت (تقريبًا ١٥٣٨م – ١٥٩٩م) ، وأديب منتصف القرن السابع عشر الميلادي/ الحادي عشر الهجري توماس آدي ، وخاطرا بإبداء رأيهما بسبب انزعاجهما من البؤس الذي تسببه محاكمات الساحرات في مجتمعاتهما ، كان سكوت أكثر الاثنين مباشرة وصراحة في رفضه إمكانية وجود السحر الشيطاني والاتصالات بالأرواح والمعجزات ، لكن كلاهما ركز تركيزًا كبيرًا على فن الحواية أو ما نطلق عليه اليوم سحر المسرح ، وكانا – من خلال شرح كيفية تنفيذ الحيل – يأملان في أن يثبتا أن العديد من المظاهر التي تنسب للسحر أو الشعوذة يسهل تقليدها من خلال بعض الأدوات وخفة اليد ، وقد أخذ سكوت على عاتقه

يقف "الجوبري" حيال حيل بعض المشعبذين يقول :"استنبطتُ شيئًا مليحًا لإخراج السرقة ، لم أُسبق إليه"(٢٨٠).

ويعطينا العديد ممن كتبوا في هذا النوع المعرفي مثالا عن طبقة من مثقفي الشعب ، فهم ليسوا فقهاء ، ولم يدّعِ أي منهم ذلك قط ، بل نستطيع القول بضحالة ثقافة بعضهم الدينية ، فهم لم يتطرقوا للوعظ الديني ، ولم يستشهدوا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ومع ذلك فهم مؤمنون ملتزمون كمعظم رجال عصرهم ، فلم يتجاوز أي منهم في أي مسألة تتعلق بالشرع بل على العكس نجد منهم من يوقر الصالحين ويخرجهم عن دائرة المدعين والمحتالين(٢٨١).

إن مواجهة الاحتيال ورد كيد أهل الحيل يحتاجان لثقافة ومعلومات لم يبخل من كتبوا في هذا اللون بأي منها على القارئ ، حتى أننا نستطيع القول: بأن الدافع الحقيقي، إن كان للمؤلفين أو لمن طلب منهم التأليف ، هو حماية المجتمع بعد ازدياد عدد المحتالين وتشكيلهم طبقة قوية وخطيرة ، وانتشار الغش في كافة الصناعات بل في أشياء لا تخطر على البال(٢٨٢)

علمًا بأن كثير من المحتالين كانوا يرتعون في كل الطبقات عندما يأتون من باب طمع الناس فيعمون بصائرهم ويتمكنون منهم ، وطالما انطلت حيلتهم على أغنياء ، وعلماء ووزراء ، بل وسلاطين ، كما أننا اليوم ، وفي عصرنا الحاضر بكل علومه

=المهمة غير الهينة لتعلم خدع وأسرار المهنة مثلما فعل الجوبري في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، بحيث يؤديها كما يؤديها العديد من السحرة المتجولين الذين يجوبون الأسواق والمهرجانات ، لكنه شعر بوخز الندم على كشفه ألاعيبهم و " اعتراض سبيل عيش هؤلاء المساكين بذلك" إلا أنه أنزل وابلا من الازدراء والإساءة بمن كانت في رأيه مجموعة المحتالين الرئيسية الأخرى ، قاصدًا بها مجموعة رجال الدين الكاثوليك . كان الكُتاب البروتستانيون يروق لهم أن يوضحوا كيف يستخدم رجال الكهنوت الخدع لحمل الناس على تصديق فعالية ما يمارسونه من طرد للأرواح الشريرة أو جعلهم يتخيلون أنهم في حضرة أرواح الموتى ، كي يدعموا الإيمان بمفهوم التطهر الذي يدر على الكهنوت المال الوفير . وهو ما يتشابه بالدور الذي سبقهم إليه الجوبري في مشف خدع من يدعي النبوة والمشيخة والتدثر بثياب الدين . للمزيد انظر: ديفيز ، أوين : السحر مقدمة قصيرة جدًا ، ص ٥٥.

(٢٨٠) الجوبري: مصدر سابق، ص ٤ ، ٥.

(٢٨١) منذر الحايك : مرجع سابق ، ص ١٧ ، ١٨.

(٢٨٢) المرجع السابق ، ص ١٩.

وتقدمه لا نستطيع أن ننفي وجود أُناس يشبهون البلهان[٢٨٣] أو الأخشان الـذين تحـدث عنهم الجوبري ، وكذلك وجود محتالين طوروا مهاراتهم لتتناسب مع العصر[٢٨٤] .

الأمر الذي دفع ببعض الفقهاء والعلماء والكُتاب أن يتقنوا هذه الحيل ويتعرفـوا عليها من باب فرض الكفاية لكشف المحتالين ومنع شرهم وتسلطهم على الناس وأشارت المصادر لمعرفة عدد من الفقهاء والعلماء هذه الحيل وتعاطوها مثل مَحْمُود بن مَسْـعُود بن مصلح الْفَارِسِي المولود في شيراز سنة ٦٣٤ هـ ، وَكَانَ يتقن الشعبذة ، وَكَانَ مـن بحور الْعلم وَمن أَفْرَاد الذكاء"[٢٨٥].والفقيه إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي الذي كان متقدماً في علم الكلام وكان صاحب حيل وفوارجمستظرفة مطلعاً علـى أشـياء غريبة من الخواص وغيرها[٢٨٦].

التراث المكتوب في الأَلعَابِ السِّحرِيَّة وَخِفَّة اليَد:

كانت الحيل في تلك الفترة تعد علمًا بكل ما في الكلمة من معنى ، وهذا ما أكـده الجوبري حيث وضع فصلا سماه " علم الحيل الساسانية"[٢٨٧] وقد عالج الكثير من الكُتاب موضوع الاحتيال ووسائله ، منهم بالمقامات ومنهم بالشعر، ومنهم بالنثر ، ووصل إلينـا بعضًا من هذه الكتابات ، وفقد بعضها الآخر، وصلت إلينا إشارات عنهافي بَعض المصادر التي تَناولت شعبذة الألعاب السحرية، أو ألعاب الخفة، ومنها الكتب التي أشار إليها "ابن النديم" في كتابه "الفهرست"[٢٨٨]، والتي لَم يصل بعضها إلينا، أَما مِن الكُتب التي وصـلت إِلينا مِنها: كِتاب "النارنجيات"، أو "الباهر في عجائب الحيل" لأبي عامر أحمـد بـن عبـد الملك الأندلسي المعروف بابن شُـهيد[٢٨٩] (ت٤٢٦هـ)، وهـو الشـاعر والأديـب

(٢٨٣) الجوبري : المختار، ص ١٥٥.

(٢٨٤) منذر الحايك ، مرجع سابق ، ص ٢٠.

(٢٨٥) ابن حجر " أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني" : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، (اعتناء : محمد عبد المعيد ، الهند ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٢م) ١٠٠/٦.

(٢٨٦) ابن فرحون : الديباج ١/ ٢٧٣.

(٢٨٧) الجوبري :مصدر سابق ، ص ٩١ ١٠١.

(٢٨٨) ذكرها ابن النديم في "المقالة الثامنة: في الأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة"، الفهرست ١/ ٣٦٩.

(٢٨٩) شُهيد: بضم الشين المثلثة، وفتح الهاء، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها دال مهملة.

المشهور، صاحب رسالة "الزوابع والتوابع"[٢٩٠]، ورسالة النارنجيات هذه جزء من كتابه "كشف الدَك وإيضاح الشك" وَقَد ذَكره "الجوبري "[٢٩١] مِن ضِمن الكُتب التي رَجع إليها.

ونَجد كتاب "عُيون الحقائق وإيضاح الطرائق"[٢٩٢] لأبي القاسم محمد بن أحمد السيماوي[٢٩٣] العراقي (عاش حتى نهاية القرن السابع الهجري[٢٩٤] لأنه يذكر اسم حاكم مصر في زمنه الظاهر ركن الدين[٢٩٥]، وكتابَ "إرخاء الستور والكلل، في كشف المدكات والحيل"[٢٩٦] تأليف محمد بن محمد أبي حلة الرهاروزي أَو ابن الدهان، ولَم يَصلنا شيئًا عَن حَياةِ المؤلف إلا أن المخطوطة المعروفة لَه مؤرخة سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م.وتَضمن مَادةً عن الألعاب السحرية وخفة اليد، وقد اعتمد عليه الجوبري صاحب كتاب "المختار في كشف الأسرار".والجوبري كَان حيًا سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م، ويستفاد مِن مُقدمة مؤلفه أسماء كتب اعتمد عليها، ولَم يصل إلينا العديد منها فيما عدا كتاب "إرخاء الستور " وكتاب ابن شُهيد السابق ذكرهما.

---

(٢٩٠) ابن بشكوال: الصلة (القاهرة ، دار الكتب المصرية، ١٩٦٦م) ٣٥٧/٢؛ وابن حيان: المقتبس (تحقيق محمود مكي، بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م)، ص ٤٤٧؛ وعبد الله سالم المعطاني: ابن شُهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي (مكة المكرمة ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة الملك عبد العزيز. ١٩٧٧م)، ص ١٥.

(٢٩١) قال الجوبري: "ثُم قرأت جميع الكتب الموضوعة.. مثل الباهر وغيرهما من النواميس، ثُم أخذت في كشف دكها فقرأت كتاب ابن شُهيد المغربي في كشف الدك وإيضاح الشك". انظر/ المختار، ص٢٢.

(٢٩٢) ورد في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون باسم :"عيون الحقائق وكشف الطرائق" لأبي القاسم العراقي محمد بن أحمد السيماوي وقيل السمانوسي ، أوله الحمد لله الذي أطلع لنا إلخ صنفها لأحمد بن الملك الظاهر أبى سعيد چقمق. انظر/ سماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ) : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين ، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي ، ١٩٨٩م) ٤/ ٣٨٣.

(٢٩٣) نسبة إلى مدينة السَّماوة.

(٢٩٤) لطف الله قاري : الحبر والمداد في كتب الصناعات الشاملة (القاهرة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٥٥، ج ١ ، ٢٠١١م) ، ص ٩٢.

(٢٩٥) الظاهر ركن الدين حكم خلال الفترة ٦٥٨ – ٦٧٦هـ / ١٢٥٩ ١٢٧٤م.

(٢٩٦) أشار حاجي خليفة في كشف الظنون أنه مذكور في كتب: الجفر.

أضف إلى هذا التراث كتاب "الحيل البابلية للخزانة الكاملية" للحسن بن محمد الإسكندراني القُرشي العدوي المتوفى في حدود سنة ٦٤٠هـ، وَقد صَنَّفَ هَذا الكتاب للملك الكامل الأيوبي، وأَلَّف كتاب "مَوضع أستار الكلل، وفاضح أسرار الحيل" للخليفةِ الناصر لدين الله أحمد العباسي حين قدومه إلى بغداد. واحتوى على أبواب منها: الباب الأول في أُصول هذا العلم ومعرفته ومَا يَستحب مِن لطفه وخفته، الباب الثاني فِي الحيل الهوائية، والدخن السماوية، الباب الثالث في السرج والقناديل ووضعها في المحافل، الباب الرابع في اللعب بالنار وما يوهم به الحضار، الباب الخامس في وضع الطلاسم بالعزائم، الباب السادس فِي القناني وما فيها من الملح والمعاني، الباب السابع في الكاسات، والأقداح وما فيها من الأفراح، الباب الثامن في البيض وحيله وترتيبه وعمله[٢٩٧].

ومِن الكتب الأخرى التي تَناولت الألعاب السحرية وخفة اليد في تراثنا؛ كتاب "عيون الحقائق والغرائب فِي اللعوب والكيمياء، لمجهول وكتاب آخر "في الدك والنيرنجيات والملاعيب والسيمياء، والبخورات لمجهولٍ أيضًا[٢٩٨]. إضافة إلى كتاب "زهر البساتين في علم المشاتين" ذَكره حاجي خليفة بقول: "مُختصر في الشعبذة. لمحمد بن أبي بكر.فِي عِلم الحيل.. الباب الأول: فِي الصُورِ، والتماثيل، والثاني: في الأقداحوالعفائر، والثالث: في الأكر، والرابع: في أشياء من الشعبذة، والخامس: في البيضوالصناديق، والسادس: في القناديل والسروج، السابع: في اللزاقاتوالتعاليق، والعاشر: في طرائق بني ساسان"[٢٩٩].وتلك الكتابات تؤكد أنّ هذه الحيل لم تمرّ على الوعي دون استجابة يقظة وانتباه واعٍ بدور هذه الطائفة في التأثير على المجتمع .وأن هذه الكتابات بمنزلة شاهد على ذهنية المجتمع العربي، بخاصة في فترات التأزم الحضاري مما تعدّ مجالًا مهمًا لدراسة هذه الذهنية التي تتطلب سلاحًا نقديًا ثاقبًا.

---

(٢٩٧) إسماعيل البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، (ملحق كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة ، تحقيق: محمد شرف الدين ، إستانبول، وزارة المعارف ، ١٩٤٥) ، ١/٢٨٠ – ٢٨١ ؛ لطف الله قاري : مقدمة زهر البساتين ، ص ١٨ – ١٩.

(٢٩٨) رمضان ششن : فهرس المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا ، (إسطنبول، مركز التاريخ والتراث والثقافة والفنون ، ١٩٩٧م) ، ٨٠٩ ، ٩٠٢.

(٢٩٩) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ٩٥٨؛ لطف الله قاري: مقدمة زهر البساتين، ص ٢١، ٢٢.

خلاصة القول :

إن هذه الدراسة التي شكلت كتب حيل الشعبذةوالنارنجيات أحد مصادرها الرئيسية سمحت لنا بالوقوف على الأهمية التاريخية لهذه المصادر من حيث فائدتها في ما تخبرنا بصورة غير مباشرة وغير معلنة عن واضعيها وهواجسهم ، وظروف إنتاج الخطاب التحذيري ودوافعه ووظائفه ، وبالتالي عن المجتمع ، ومن هنا أهميتها الحيوية ، والتي لم تراع إلى حد الآن حق مراعاة ، في أية مقاربة تاريخية ، هذا علاوة على ما تزخر به من معلومات حول النواحي الاجتماعية والحضارية.

كما سمحت لنا هذه الدراسة بأن نتبين مدى مشاركة " الخاصة" و " العامة" في ظاهرة "الحيل بالشعبذة " ومدى اعتقاد أفرادها بالشعبذة وحيلها ، مما يدفعنا إلى مراجعة التقسيمات المعهودة بين العقلية والسلوكيات الدينية عند العامة والعقلية والسلوكيات الدينية عند الخاصة ، وتفتح المجال عريضًا أمام إشكالية " المثقف" في " العصر الوسيط" في علاقته بالدين ، وبالغيب ، وبالسلطة ، وبالمجتمع(٣٠٠) .

ومن الظواهر الملفتة التي سمحت لنا هذه الدراسة بالوقوف عندها وإن باقتضاب ، هى مسألة " ثنائية وظيفة الحيل" أي حيل التسلية والسلب أو " السم في العسل" المنسوبة ممارستها إلى المشعبذين ، وما اقترنت به هذه الممارسة من آليات . من هنا نستشف أهمية التعمق في هذه المسألة التي لعبت دورًا أساسيًا في تلبية احتياجات قطاع عريض من المجتمع ثقافيًا واجتماعيًا وإحكام سيطرة المشعبذين وأهل الحيل على المجتمع وربما تفاقم دورهم في الفترة اللاحقة .

تبين الدراسة ما للحياة الشعبية يَومذاك مِن أَثرٍ عَلى أقلامِ المؤلفين من الكُتاب ، والمثقفين والأدباء أو الفقهاء أو المحتسبين ، الذين سجلوا لنا هذه الحيل وفنون المشعبذين أو أشاروا إليها ، أوحذروا الناس وأبناء المجتمع مِن مُمارستها، والابتعاد عن أصحابها ومُخترعيها، كَما أنها تَدلنا دلالةً واضحةً على افتتان الناس بمهارات أصحاب

---

(٣٠٠) نللي سلامة العامري : الولاية والمجتمع ، ص ٥٢٦.

الحيل والشعبذة، التي يَبطل واقعها وانتشارها، المناخ العلمي الصحيح، والوعي الشعبي، والثقافة العلمية المتطورة(٣٠١).

لكننا اليوم نحتاجها لا لنتقي المحتالين الذين لم ينقطعوا بل تطورت أساليبهم وارتقت حيلهم بما يناسب العصر ، نحتاج دراسة هذه الجماعات اليوم لنتعرف على ماضي مجتمعاتنا وكيف كانت تعيش في الواقع وعلى الحقيقة ، هذا الواقع الذي لم تتطرق إليه كتب التاريخ إلا شذرات هنا أو هناك ، ولم يذكره المؤرخون ترفعًا عنه ، لكنه كان واقعًا قائمًا لا نستطيع نكرانه ، يساعدنا في التعرف إلى الموقف الذهني الإدراكي والأخلاقي والتخيلي والمعرفي للمجتمع تجاه جماعة منبوذة اجتماعيًا ودينيًا، ورغم ذلك ظلت مخترقة لكافة طبقات المجتمع وآدابه وفنونه نظرًا لما قدمته من طرافة ومتعة وتلبية لحاجات اجتماعية / ثقافية ،كشفت أسرار النفس البشرية ونزواتها والتي هى غالبًا واحدة في كل العصور(٣٠٢) .

انتظم العاملون بحرفة الشعبذة في تنظيم طائفي رتب أحوالهم ، ونسق علاقتهم بالسلطة الحاكمة ، وإن لم يكن بالشكل الناضج الذي عُرف في حرف أخرى معاصرة ليجمعوا بين ما هو متناقض في بؤرة واحدة ويقدم تفسيرًا ذهنيًا لتاريخ المجتمع ويساعدنا على فهم أعمق لحالة تطور المجتمع من زاوية باهتة ملتبسة غامضة جديرة بالدراسة قد تعيد صياغة رؤيتنا لهذا العصر المليء بالمفارقات.

على جانب آخر تعرضت الحرفة للكثير من التقنين الديني الرافض في أغلبه لهذه الممارسات والألوان من وسائل التسلية ولكنه تقنين لم يمتلك أدوات المنع النهائي لهذا النوع من الحرف، إضافة إلى تعرض هذه الطائفة إلى التضييق النسبي من السلطة في أوقات متفاوتة تبعًا لشبكة علاقات هذه الطائفة .فرغم أنها قلمت أظافرهم إلا أنها لم تسلبهم مكتسباتهم ، ويشهد على ذلك استعانتهم بهم في الاحتفالات الخاصة والعامة مما يعني استمرارية دورهم في الوسط المجتمعي، هذا لم يمنع معاناة هذه الطائفة من ضعف الإمكانيات الاقتصادية التي تدفعهم إلى اعتماد فئة كبيرة منهم على ما يجود به العامة في الأسواق والاحتفالات الخاصة والعامة .

---

(٣٠١) محسن جمال الدين: مخطوطة المختار في كشف أسرار المحتالين ، ص ١٩١، ١٩٢.

(٣٠٢) منذر الحايك : مرجع سابق ، ص ٢١.

تبين الدراسة إلى أي مدى كان انتماء هذه الشريحة إلى كل مكان ، وهم من كل قوم قد يكونون ، فمنهم الأعجمي أو المغربي أو المصري أو النوبيأو من أهل الحجاز أو دمشق وغيرهم ، وكذلك الطبقات التي يترزق عليها المشعبذون فهم من كل الأقاليم والمدن ومن قاع المجتمع إلى أعلى قمته ومن كافة الأديان والمذاهب، وانطلاقًا من ذلك فإننا نجد أن دراسة أحوال وأساليب هذه الشريحة من خلال الكتابات التي تناولت أسرارهم وحيلهم تشكل مرآة حقيقية للتاريخ الاجتماعي تعطينا صورة بمنتهى الصدق والشفافية لمجتمع العوام البسطاء الذين هم الهدف الرئيس للاحتيال .

وتوضح الدراسة أن انتشار الاحتيال والغش بهذا الشكل يدلنا على تدنى مستوى الوعي العام لدى السواد الأعظم من المجتمع عامة ومن طبقة العوام خاصة . فنجاح المحتالين يحتاج إلى بيئة يسود فيها الجهل والبطالة والفقر ، فلولا ذلك لما ازداد المحتالون ولما تعددت الحيل . وتبين الدراسة أن كثيرًا من المحتالين كانوا يرتعون في كل الطبقات عندما يأتون من باب التدين ، مرتدين ثوب التقوى والصلاح ، ثم يأخذون دور الناصح الأمين ، بعد ذلك يثيرون طمع الناس ، فيعمون بصائرهم ويتمكنون منهم ، وطالما انطلت حيلهم على أغنياء وعلماء ووزراء وسلاطين[٣٠٣] .

وتبين دراسة حيل المشعبذين جملة مِن الصناعات الشعبية التي يَعتمد صاحبها على خلط العلم بالحيلة، وتطلعنا على نماذج من التراث الشعبي العربي، وخاصة ما يتعلق منها بأرباب حرف مصاحبة للشعبذة اندثرت أو تكاد بحيث أصبح هؤلاء تاريخ لا يتجزأ عن تاريخ المجتمع.

والدراسة تكشف عن ما للدور التنويري للعديد من العلماء والكُتاب والمثقفين في دفع وهم الناس عما هم فيه من ضلال ، ويبين لهم الفرق بين الوهم والحقيقة ويمكنوهم من الوقوف على أنواع الاحتيال والمحتالين[٣٠٤] لتتداعى أمامنا معاني العالم الحق الذي يحمل رسالة ، معلم الخير ، الصالح المستمسك بأمته وعقيدته إذا فسد الناس وعياً وسعياً ؛ ليذكروننا بقول القدامى :"ما من علم مستقبح إلا والجهل به أقبح" ، وبرر

(٣٠٣) منذر الحايك : المختار ، ص ٢٠.

(٣٠٤) محمد التونجي : مقدمة كتاب المختار في كشف الأسرار ، ص ٧.

الجوبري جهده وتحصيله لعلم الحيل بقوله :" معرفة الأشياء خير من الجهل بها ، فهـذا مراد المملوك عن هذه العلوم "[٣٠٥]فما أعظم علماءنا ! وما أعظم مـا تركـوا لنـا مـن تراث ! إنهم لم يتركوا علمًا أو فنًا إلا أشبعوه دراسة وتتبُعًا . ولم يدعوا للبشرية عِلمًا إلا وضعوا فيه بصمات ثابتة ..حتى علم الشعبذة والحيل والألعاب السحرية وما يلتصق بهـا من خفة اليد ، والدك .. معها أو ضدها.

(٣٠٥) الجوبري : المختار ١٦٧.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا . المصادر العربية :

١. الإحسائي، أبو بكر بن محمد بن عمر المُلَّا : تنبيه الأفهام بتأويل الأحلام ، (الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٨٨م) .

٢. الإسكندري، الحسنبنمحمدالقرشيالعبدري (ت ٦٤٠هـ /١٢٤٣م) :الحيل البابلية للخزانة الكاملية (تحقيق: لطف الله قاري ، الدوحة ٢٠١٦) .

٣. ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد ت ٧٢٩هـ : معالم القربة في طلب الحسبة ،(كمبردج، دار الفنون ، د.ت).

٤. ابن بشكوال، الصلة (القاهرة ، دار الكتب المصرية، ١٩٦٦م).

٥. ابن بطة ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري ، ت ٣٨٧هـ : إبطال الحيل ، (تحقيق : زهير الشاويش ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ) .

٦. ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، (الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ) .

٧. الباباني ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي ، ت ١٣٩٩هـ : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (استانبول ، طبع بعناية وكالة المعارف ، ١٩٥١م) .

٨. الباباني ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي ، ت ١٣٩٩هـ : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين ، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي ، ١٩٨٩م).

٩. الباقلاني ، أبو بكر (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م): البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر، (نشره ريتشارد مكارثي، بيروت ، دار صادر، ١٩٥٨م).

١٠. التلمساني ، ابن الحاج المغربي:شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى(ط١، القاهرة، مكتبة صبيح ، د.ت).

١١. الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، أبو عثمان ، ت ٢٥٥هـ: الحيوان، (ط٢، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ) .

١٢. الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن، ت ١٢٣٧هـ: تَاريخ عَجائب الآثار فِي التراجم والأخبار (بيروت ، دار الجيل، ١٩٩١م).

١٣.جلبي ، أوليا ، الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش ١٠٨٢هـ ـ١٠٩١هـ/١٦٧٢هـ ـ ١٦٨٠م (ج ٣ مواكب مصر واحتفالاتها، ترجمة الصفصافي أحمد القطوري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م).

١٤.الجوبري ، عبد الرحيم بن عمر . ق ٧هـ": المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، (تحقيق : منذر الحايك ، دار صفحات ، دمشق ٢٠١٤م).

١٥.ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ: المنتظم فِي تَاريخ الأُمم والملوك (تحقيق: مُحمد عَبد القادر عطا، مُصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م).

١٦.ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ : تلبيس إبليس ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ٢٠٠١م).

١٧.الجوهري ،محمد: موسوعة التراث الشعبي العربي "المعتقدات والمعارف الشعبية" (القاهرة ، سلسلة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢م).

١٨.ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني": الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، (اعتناء : محمد عبد المعيد ، الهند ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٢م) ؛ (بيروت ، تصحيح سالم الكرنكوي، دار صادر ١٩٦٧م).

١٩.ابن حجر الهيتمي "أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ت ٩٧٤هـ" : الفتاوى الحديثية ، (القاهرة ، دار الفكر ، د.ت).

٢٠.ابن حيان ، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان ت : ٤٦٩هـ: المقتبس من أنباء الأندلس (تحقيق محمود مكي، بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م).

٢١.ابن خاقان ، أبو النصر الفتح محمد بن عبد الله ، ت٥٣٥ هـ،١١٤٠م" :قلائد العقيان ومحاسن الاعيان ، (تحقيق حسين يوسف خربوش ، القاهرة ، مكتبة المنار ، د.ت).

٢٢.ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (المتوفى: ٨٠٨هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تحقيق : خليل شحاتة، ط٢،بيروت ، دار الفكر، ١٩٨٨م).

٢٣.دافين، بريس: إدريس أفندي في مصر (ترجمة: أنور لوقا، القاهرة، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م).

٢٤.ابن دانيال الموصلي ، شمس الدين مُحمد ابن دانيال الموصلي الكحال" (ت٧١٠ه): طيفُ الخيال (تحقيق: عمرو عبد العزيز منير، ط ١، القاهرة ٢٠١٦م).

٢٥.ابن دحية ، "أبي الخطاب عمر بن حسن " : المطرب من أشعار أهل المغرب ، (تحقيق: إبراهيم الإيباري وآخرون ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ،١٩٩٣م) .

٢٦.ابن الدهان ، "محمد بن محمد بن سليمان بن غالب" : إرخاء الستور والكلل في كشف المدكات والحيل وإيضاح الجد منها والهزل (مخطوط بمكتبة رضا رامبو بالهند ، برقم ٢٥١٣) .
٢٧.الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٧٤٨هـ : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، (تحقيق: بشار عوّاد معروف ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م).
٢٨.بن رسول " المظفر يوسف بن عمر بن علي ت ٦٩٤هـ" : المخترع في فنون من الصنع ، (تحقيق : محمد عيسى صالحية ، الكويت، مؤسسة الشراع ، ١٩٨٩م) .
٢٩.الرازي، احمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي ، ت : ٢٧٥هـ/٨٨٨م : الزينة في الكلمات الإسلامية، (مخطوطة نسخة مصورة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ١٣٠٦).
٣٠.الزَّبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، ت ١٢٠٥هـ : تاج العروس من جواهر القاموس،(تحقيق: مجموعة من المحققين ، القاهرة ، دار الهداية ١٩٩٩م) .
٣١.الزرخوني ، "محمد بن أبي بكر بن عمر ت ٨٠٨هـ" : زهر البساتين في علم المشاتين (تحقيق: لطف الله قاري، القاهرة ، مكتبة الإمام البخاري ، ٢٠١٢م) .
٣٢.السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ) : معيد النعم ومبيد النقم (تحقيق : محمد على النجار وآخرون ، ط٢ ، القاهرة، مكتبة الخانكي ، ١٩٩٣م) .
٣٣.السقطي المالقي ، محمد بن أحمد : آداب الحسبة ، (تحقيق: ليفىبروفنسال وكولان ، باريس ، المطبعة الدولية ، ١٩٣١م) .
٣٤.شاه ،ابن وصيف : جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف بفضائل مصر وأخبارها (تحقيق محمد زينهم ، ط١ ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، ٢٠٠٤م).
٣٥.ابن سيرين ، محمد: منتخب الكلام في تفسير الأحلام(مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٠م)
٣٦.أبو شامة " أبو القاسم شهاب الدين المقدسي الدمشقي ، ت ٦٦٥هـ" : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، (تحقيق : إبراهيم الزيبق ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧م).
٣٧.ابن شُهيد الأندلسي ، أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك ، ت : ٤٢٦هـ : الباهر في عجائب الحيل ، (تحقيق : عمرو عبد العزيز منير ، القاهرة ، مجلة الثقافة الجديدة العدد ٣٠٠ ، ٢٠١٥م) .

٣٨.الشيرازي، محمد الموسوي، الفرقة الناجية، (تعريب وتحقيق: فاضل الفراتي، ط١، بغداد ، مكتبة الأمين – ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٣٩.الشربيني ، يُوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف (القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٨هـ).
٤٠.الصفا ، إخوان : الرسائل (تحقيق: بطرس البستاني ، بيروت ، دار صادر ١٩٥٧) .
٤١.طاش كبري زادة ، أحمد بن مصطفى: مُفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (ج١، تحقيق كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، القاهرة ، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م).
٤٢.الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف : الحوادث والبدع ، (تحقيق: على حسن الحلبي ، القاهرة ، دار ابن الجوزي ، ١٩٩٨م) .
٤٣.عالي ، مصطفى: موائد النفائس في قواعد المجالس (ترجمة حازم سعيد محمد منتصر، ضمن دراسة نقدية وترجمة إلى العربية (الزقازيق ، رسالة ماجستير – غير منشورة– قسم اللغة التركية، جامعة الأزهر ٢٠٠٣م).
٤٤.العراقي ،أبو القاسم : عيون الحقائق وإيضاح الطرائق (مخطوط بالجامعة الأمريكية بالقاهرة).
٤٥.العياشي ، أبو سالم عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية، (ج١، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، أبو ظبي، دار السويدي، ٢٠٠٥م).
٤٦.الفيروزآبادى ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧هـ : القاموس المحيط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٥م) .
٤٧.القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود " : آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت، دار صادر ، ١٩٩٩م).
٤٨.القلقشندي ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على ، ت٨٢١هـ: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (١٤ جزء، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).
٤٩.القللوسي، أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي: تُحف الخواص في طُرف الخواص في صنعة الأمدة والأصباغ والأدهان، (تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م).
٥٠.القنوجي ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: ١٣٠٧هـ): أبجد العلوم (القاهرة ، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م)، ص٤٩.
٥١.ابن عبد الرؤوف ، أحمد بن عبد الله : رسالة في الحسبة ، "ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب" ، (تحقيق : ليفي بروفنسال ، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م) .

٥٢.ابن عبدون، "محمد بن أحمد التجيبي: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،(تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي ، ١٩٥٥).
٥٣.ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ت ٧٧٤هـ: البداية والنهاية (تحقيق: على شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨ م).
٥٤.أبو المحاسن ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري ، ت ٨٧٤هـ: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،(القاهرة ، دار الكتب والوثائق ١٩٦٠).
٥٥.المجريطي ، أبو القاسم مسلمة بن أحمد: غاية الحكيم (نشر: محمود نصار ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، د.ت) .
٥٦.مجهول : ألف ليلة وليلة (ج٢، بيروت، دار صادر طبعة أصلية وكاملة، ، د.ت).
٥٧.مَجهول: تغريبة بني هلال (بيروت ، المكتبة الثقافية، د.ت).
٥٨.مجهول: سيرة الملك الظاهر بيبرس (دمشق ، مكتبة الحضارة ومكتبة المهايني، د.ت).
٥٩.المسعودي ، محمد: الحيل (المدينة ، ، السنة السابعة عشرة ، العددان ٧١، ٧٢، مطابع الجامعة الإسلامية ١٤٠٦هـ)
٦٠.المعطاني ، عبد الله سالم: ابن شُهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي (مكة المكرمة ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة الملك عبد العزيز. ١٩٧٧م).
٦١.المقريزي ، "تَقي الدين أَبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ":درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (تحقيق : محمود الجليلي ، ج ٣ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٢م) .
٦٢.المقريزي ، تَقي الدين أَبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ": السُلوك فِي مَعرفة دول الملوك (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت ، دار الكتب العلمية١٩٩٧م).
٦٣.المقريزي ، تَقي الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
٦٤.ابن منظور ،مُحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت٧١١هـ): لسان العرب (ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ).
٦٥.ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي، ت ٤٣٨هـ: الفهرست (تحقيق إبراهيم رمضان، ط٢، بيروت، دار المعرفة ، ١٩٩٧ مـ).
٦٦.نيبور ، كارستن: رحلة إلى بلاد العرب وما حولها (ج١ "الرحلة إل مصر" ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م).

٦٧.الوطواط ، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي، ت ٧١٨هـ: غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة (بيروت ،دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ م).
٦٨.الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، (تحقيق: مجموعة محقيقين ، إشراف : محمد حجي ، الرباط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ١٩٨١م) .
٦٩.ابن الوزان ، الحسن بن محمد الوزان الزياتي، المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا (ترجمة عبد الرحمن حميدة، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م).

ثانيًا . المراجع العربية .

١. إسماعيل، البيومي: الوفود السياسي لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك (مجلة كلية الآدب ، جامعة المنصورة ، العدد ٣٠ ، يناير ٢٠٠٢م) .
٢. بدوي، أحمد زكي: مُعجم مُصطلحات العلوم الاجتماعية (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م).
٣. البغدادي، إسماعيل : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، (ملحق كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة ، تحقيق: محمد شرف الدين ، إستانبول، وزارة المعارف ، ١٩٤٥)
٤. بكير، محمود: علم الحيل لغة واصطلاحًا في التراث العربي الإسلامي (دبي ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد١٦، ١٤١٧هـ) .
٥. التونجي ، محمد : مقدمة كتاب المختار في كشف الأسرار (الكويت، دار الكتاب الجامعي ، ١٩٩٦م) .
٦. تيمور، أحمد: الكنايات العامية (ط٣، بيروت ، الشركة الشرقية للنشر ، والتوزيع ، ١٩٧٠) .
٧. التيمومي، الهادي وآخرون : المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي (ط١ ، تونس، بيت الحكمة ، ١٩٩٩م).
٨. جمال الدين، محسن: مخطوطة المختار في كشف أسرار المحتالين ونواميس الحيالين (مجلة التراث الشعبي، العددان الثاني، والثالث، السنة السابعة، بغداد١٩٧٦م).
٩. الحايك، منذر: تقديم كتاب المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار" ، (دمشق ، دار صفحات ، ٢٠١٤م) .
١٠.الحباني، محمد عزيز ، وآخرون: مُعجم العلوم الاجتماعية (تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م).
١١.الحجي، حياة ناصر: أحوال العامة في حكم المماليك ، دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، (الكويت، ،دار القلم ، ١٩٩٤م) .

١٢.حرب ،طلال: بنية السيرة الشعبية، وخطابها الملحمي في عصر المماليك (ط١، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م).
١٣.حلاق ، حسان؛ عباس صباغ : المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية (بيروت، دار العلم للملايين ، ١٩٩١م) .
١٤.حمزة ،عَبد اللطيف : الأدب المصري مِن قيام الدولة الأيوبية، حتى مجيء الحملة الفرنسية، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م).
١٥.حمود ، مَاجدة: صورة الآخر في التراث العربي (بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م).
١٦.الدليمى ، طه هاشم : المكدون في التراث العربي (بغداد، مجلة التراث الشعبي، ع ١١ السنة ٦، ١٩٧٥م).
١٧.دوزي ، رينهارت: تكملة المعاجم العربية،(ترجمة : محمد سليم ، وجمال الخياط ، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية د.ت) .
١٨.ديفيز ، أوين : السحر مقدمة قصيرة جدًا ، (ترجمة : رحاب صلاح الدين ، ط١، القاهرة ، هنداوي للنشر ٢٠١٤م) .
١٩.الساعاتي ، سامية: السحر والسحرة بحث في علم الاجتماع الغيبي (ط٢، القاهرة ، دار قباء، ١٩٨٢م).
٢٠.الشحاذ ،أحمد محمد : الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة ، (بغداد، منشورات وزارة الإعلام العراقية ، ١٩٧٧م) .
٢١.الشرباصي ، أحمد: حديث السحر في القرآن، (القاهرة ، الهلال، عدد يناير، ١٩٧٥م).
٢٢.ششن ، رمضان: فهرس المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا ، (إسطنبول، مركز التاريخ والتراث والثقافة والفنون ، ١٩٩٧م) .
٢٣.شكري ، عطارد : مصر المملوكية في بابات ابن دانيال (القاهرة ، مجلة الفنون الشعبية ، ع ٨٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩).
٢٤.الصقار ، سامي : كتاب المخترع في فنون من الصنع (الرياض، مجلة الدارة ، مج٢١ ، ع ١ ، ١٩٩٥م) .
٢٥.الطالبي ، محمد : الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين ، (مجلة الأصالة ، يوليو ، أغسطس ١٩٧٥).

٢٦.الطوخي، عبد الفتاح: سحر هاروت وماروت في الألعاب السحرية (ج١،القاهرة ، مكتبة القاهرة، د. ت).
٢٧.عاشور ،سعيد عبد الفتاح : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢م).
٢٨.العامري ، نللي سلامة : الولاية والمجتمع ، (بيروت ، الفارابي ٢٠٠٦م).
٢٩.عزيز ،كارم محمود: الأسطورة فجر الإبداع الإنساني، سلسلة الدراسات الشعبية، العدد ٦٦، القاهرة، هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٢م).
٣٠.عشماوي ، سيد : الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث (القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٥م) .
٣١.عمارة ،محمد : قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، دار الشروق ، ١٩٩٣م).
٣٢.العملة ، عبد الجبار أحمد محمد : نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز الحسامي الناصري ، (نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح ٢٠٠٠م)
٣٣.قاري ، لطف الله : الحبر والمداد في كتب الصناعات الشاملة (القاهرة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٥٥، ج ١ ، ٢٠١١م).
٣٤.قاري ، لطف الله : مقدمة كتاب زهر البساتين في علم المشاتين (القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠١٢م).
٣٥.قاسم ، إسماعيل عبد المنعم محمد: الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية في مصر زمن المماليك البحرية (رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٨٨م)، ص ٣٠٠، ٣٠١.
٣٦.قاسم ،قاسم عبده: ماهية الحروب الصليبية ، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة ، ع ١٤٩ ،المجلس الوطني للثقافة ١٩٩٠م)
٣٧.قاسم ،قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي (القاهرة، دار عين ، ١٩٩٨م).
٣٨.قاسم ، قاسم عبده ، على السيد علي : الأيوبيون والمماليك ، التاريخ السياسي والعسكري ، (القاهرة ، عين للدراسات والبحوث ، ١٩٩٥م)
٣٩.قرحيلي ، نبيل جميل : الاحتفالات في عصر المماليك ، (دمشق، رسالة ماجستير – غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة دمشق ، ٢١٠م).
٤٠.الكرمي ، حسن: المعجم الأكبر، (بيروت، مكتبة لبنان ١٩٨٧م).

٤١.لاين ، إدوارد وليم: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم (ترجمة: سهير دسوم، القاهرة ، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م).
٤٢.لينبول ، ستانلي: سيرة القاهرة (ترجمة حسن إبراهيم، على إبراهيم حسن، القاهرة ، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١م).
٤٣.محمد ، أحمد رمضان أحمد : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية (القاهرة، وزارة التربية والتعليم ١٩٧٧م) .
٤٤.المحمودي، أحمد: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي (القاهرة ، دار رؤية ، ٢٠٠٩م) .
٤٥.مُصطفى ، إبراهيم ، وآخرون: المعجم الوسيط (القاهرة ، وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٣م).
٤٦.منير، عمرو عبد العزيز: العمران المصري بين الرحلة والأسطورة (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠١١م).
٤٧.ميلر، جوستاف هيندمان: موسوعة تفسير الأحلام (ترجمة : هدى موسى ، القاهرة ، ١٩٩٠م).
٤٨.النجا ، محمد رجب: الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، (سلسلة الدراسات الشعبية العدد ١١٠، القاهرة، هيئة قصور الثقافة ، ٢٠٠٧م)
٤٩.الهلالي ، شريف على: علم الحيل: أصول الحذق العربي، (العراق ، مجلة ثقافتنا ، وزارة الثقافة العراقية ٢٠٠٧م).
٥٠.وونر، مارينا: السحر الأغرب مشاهد فاتنة من وحي ألف ليلة وليلة (ترجمة : عبلة عودة ، أبو ظبي، مشروع كلمة ٢٠١٦م).
٥١.يونس، عبد الحميد: مُعجم الفولكلور (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م).

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

1. Ayalon D: The wafidya in the Mamluk Kingdom (Studies on the Mamluks of Egypt, London,1977) .
2. Charles Burnett, Magic and Divination in the Middle Ages: Texts and Techniques in the Islamic and Christian Worlds (Aldershot, Great Britain and Brookfield, VT, USA: Variorum,1996).
3. Conder : clade. Tent Work in Palestine, London,1889.
4. Fahd, Tawfiq; "NĪRANDJ" in Enyclopaedia of Islam (EI2), vol. 8 (1995),
5. Frances E. Peters, "Hermes and Haran: The Roots of Arabic-Islamic Occultism," in Magic and Divination in Early Islam, ed. Emilie Savage-Smith (Aldershot, Hants, Great Britain andBurlington, VT, USA: Ashgate/Variorum, 2004), p. 55.

الملاحق

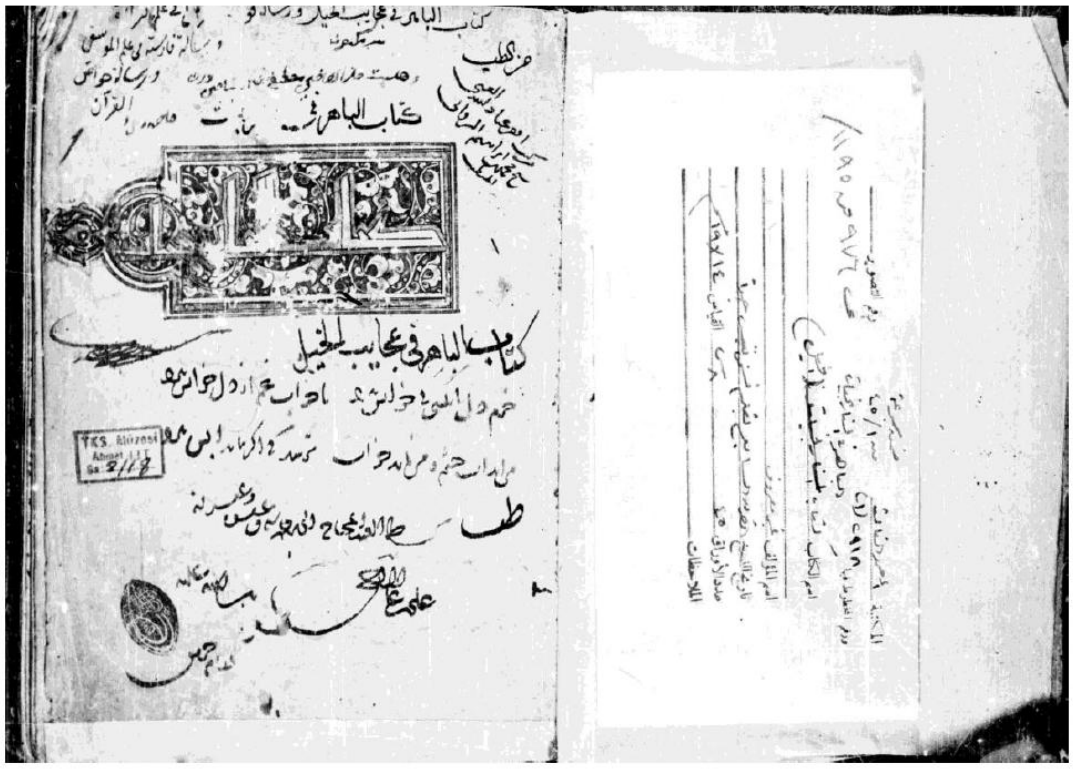

غلاف كتاب "النارنجيات" الباهر في عجايب الحيل

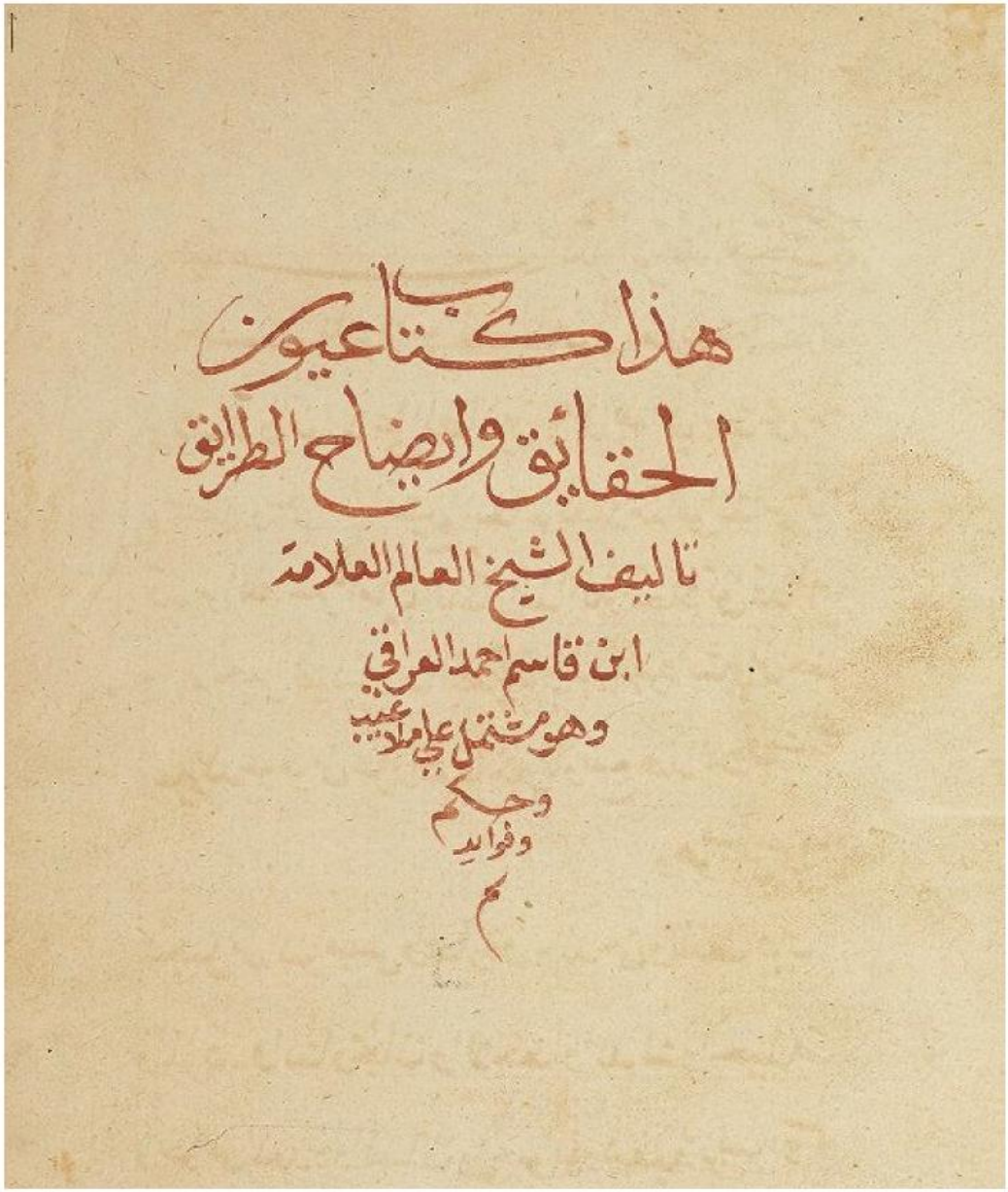
هذا كتاب
عيون الحقائق وإيضاح الطرائق
تأليف الشيخ العالم العلامة
ابن قاسم احمد العراقي
وهو مشتمل على ملاعيب
وحكم
وفوائد
لهم

غلاف كتاب عيون الحقائق وإيضاح الطرائق

غلاف كتاب المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار

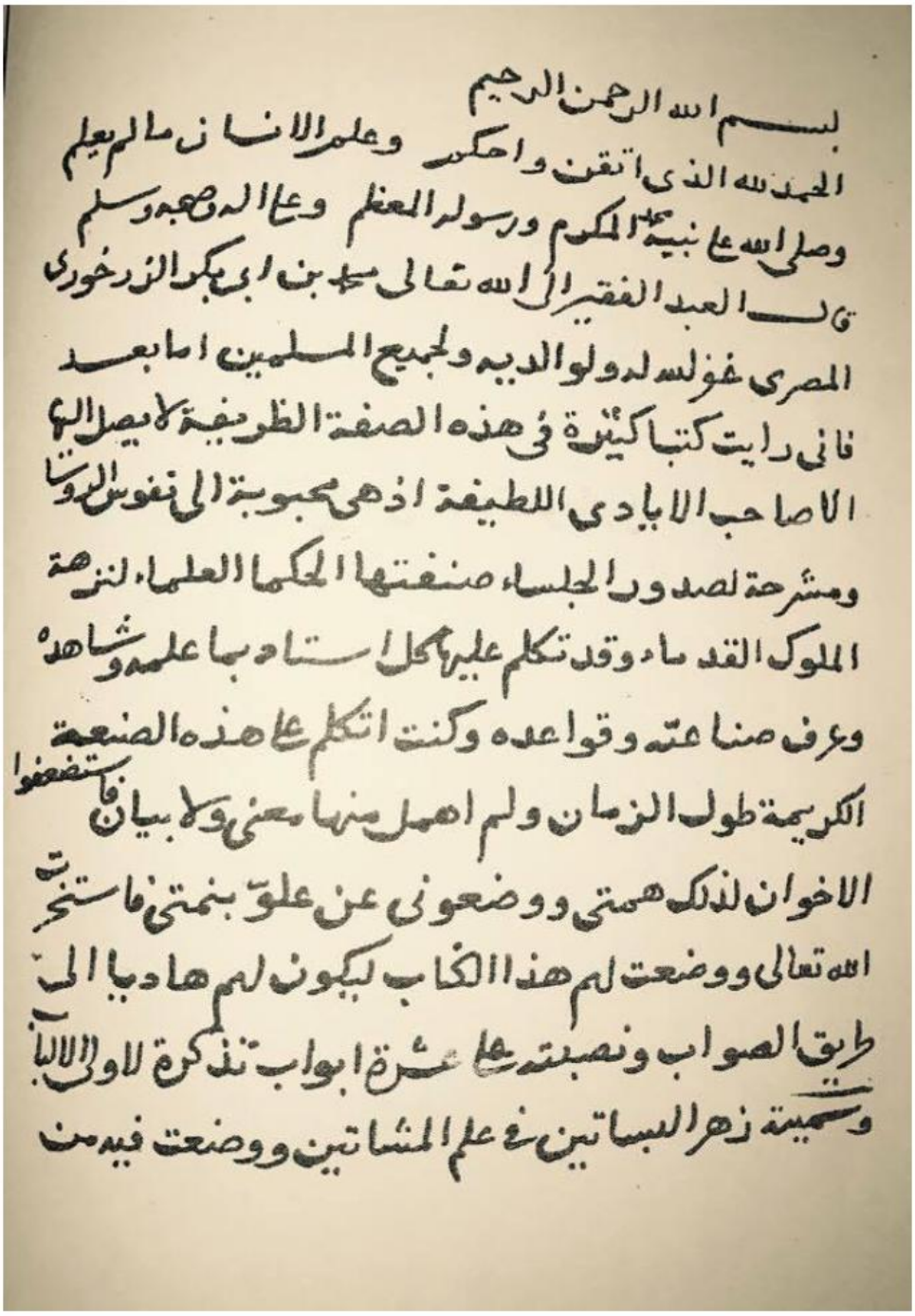

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى اتقن واحكم وعلم الانسان مالم يعلم
وصلى الله على نبيه المكرم ورسوله المعظم وعلى اله وصحبه وسلم
قال العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن ابى بكر الزرخورى
المصرى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين اما بعد
فانى رايت كتبا كثيرة فى هذه الصفة الظريفة لا يصل اليها
الا صاحب الايادى اللطيفة اذ هى محبوبة الى نفوس الرؤسا
ومشرحة لصدور الجلساء صنفتها الحكما العلماء لنزهة
الملوك القدماء وقد تكلم عليها كل استاد بما علمه وشاهده
وعرف صناعته وقواعده وكنت اتكلم على هذه الصنعة
الكريمة طول الزمان ولم اهمل منها معنى ولا بيان فاستضعفوا
الاخوان لذلك همتى ووضعونى عن علو بنمتى فاستخرت
الله تعالى ووضعت لهم هذا الكتاب ليكون لهم هاديا الى
طريق الصواب ونصبته على عشرة ابواب تذكرة لاولى الالباب
وسميته زهر البساتين فى علم المشاتين ووضعت فيه من

الورقة الأولى من كتاب زهر البساتين في علم المشاتين

طيف الخيال
لابن دانيال
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا
ومولانا محمد صلاة تحل بها عقدتي
وتفرج بها كربتي وتنقد بها حاجتي
وتقضي بها حاجتي أتم في جوف الليل
بعد صلاة ركعتين لقضاء الحاجة
من مجربات الشيخ الموسي رضي الله

كتاب طيف الخيال لابن دانيال الموصلي

السحر الحلال

في

العجيب

كيفية الملاعيب

وقد اضيف اليه جملة الاعيب مبهجة

مع بعض فوائد صناعية مجربة

وذلك تتميماً للفائدة

طبع بنفقة

الخواجات ابرهيم صادر واولاده

اصحاب المكتبة العمومية في بيروت

سنة ١٨٨٦ مسيحية موافقة لسنة ١٣٠٣ هجرية